

آدم وجواء

هل كان إبليس من الملائكة...؟

تكریم رباني شريف منحه ربنا تبارك وتعالى لسيدنا آدم ﷺ، خلقه بيده وأسجد له الملائكة... فسجدوا تحية وإجلالاً لما سواه رب العزة بيده، إلا إبليس لم يسجد وتجرأ على عصيان الأمر، وقبل أن نذكر سبب جرأته، هناك سؤال يطرح نفسه: هل إبليس من الملائكة؟!

يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ فهذا يشعرا أنه منهم... لا، ليس منهم، لقد أجمع العلماء أن إبليس لم يكن من الملائكة طرفة عين... إنما هو من الجن الذين كانوا يسكنون الأرض فأفسدوا فيها، فسلط رب العزة عليهم الملائكة فأخرجتهم إلى الجزر والجحور. وكان من بينهم من هو طائع وعابد لله لا يقع فيما يفعله الجن من سفك الدماء والإفساد... وهو إبليس، فأخذته الملائكة إلى السماء، فلم يترك فيها موضعاً إلا وسجد فيه... ولكن...

لم تسلم نفس إبليس من عيب خطير مهلك يعلمه ربنا تبارك وتعالى منه، والملائكة مبرأة من أي عيب... وأقوى دليل على أنه ليس من الملائكة قوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ وليس هذا من طبع الملائكة.

لأن في استطاعة رب العزة أن يخلق سيدنا آدم (كن) فيكون... ولكن سواه بيده... وهذا تشریف لم يستطيع إبليس أن ينال منه بعصيانته لأمر ربه... ولذلك لا يستطيع مفلوكون أن ينال من كرامة ابن آدم... ولكن الإنسان نفسه هو الذي ينال من كرامته بمعصية مولاه... كما أهان إبليس نفسه برفض السجود فاستحق الطرد واللعن...

لماذا إذا أمر بالسجود...؟!

إن الله ﷻ أمر الملائكة بالسجود لآدم ولم يأمر الجن... فلماذا يعاقب إبليس على ما لم يؤمر به؟!... والسبب أنه كان يعيش بين الملائكة فشمله الأمر معهم، ولذلك عندما سأله رب العزة: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِكَ﴾ [ص: 75]، لم يقل إبليس: يا رب لم تأمرني. وإنما قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ إذن لم يعترض أن الأمر يشملهم. ويوضح ذلك قول الله تبارك وتعالى لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾.

أرايت ملوك الملائكة في كمال الطاعة لرب العالمين... استجابة لا تعرف التردد أو التأخر لمجرد التفكير في الأمر... ﴿فَسَجَدُوا﴾ لم يظهروا اعتراضاً ومن بعده استجابة... إن اطعت أمر ربك من غير شك أو تردد ما دمت قادراً فلن تكون مثل الملائكة، بل أفضل عند الله من الملائكة، فيباهي الله بك تلك المفلوقات النورانية التي طبعت على البراءة من المعصية والفلة...

فاحذرها واحذر كل ما يربطك بسبب إلى الشيطان... وإن وقعت في شيء منه فلا تصر عليه... ومعك ما يربطك إلى الله بسبب أكبر... نفخة الهبة هي سر وهدرك

إبليس أم شيطان...؟

هذا العاصي الأول أحياناً يسميه القرآن: إبليس، وأحياناً يطلق عليه: الشيطان... فهل الاسمان له؟ وهل هما بمعنى واحد؟

اسمه الأصلي قبل المعصية: إبليس. أما الشيطان في اللغة العربية فأصلها: شطن، أي ابتعد. وإبليس فسق عن أمر الله، فابتعد عن طاعته وعن أهل طاعته، ابتعد عن التوبة، ابتعد عن عفو الله، ابتعد عن الجنة، ولشدة بعده سمي: شيطاناً. فاسمه: إبليس وصفته: الشيطان.

ومن الناس من يبتعد عن طاعة الله فيسمى: عاصياً أو فاسقاً أو جاحداً أو كافراً بحسب ما يقع فيه من إثم.

ولذلك أوصيك: إن ابتعدت عن الطاعة فلا تبتعد عن التوبة، وإن اقتربت منك أهل السوء فلا تنقطع عن أهل الخير، وإن هاصرَكَ الشيطان بكبره فمعك من الله

حافظ ربابه مفتوح ليل نهار، عفره اليك أسرع من العقربة، وهو أقرب اليك من سبب حياتك... فالزم حبيبك ومولاك.

ما الفرق بينهما...؟

أمر يجب أن يكون واضحاً في أذهاننا، وهو أن كل شيطان من الجن، وليس كل جن من الشياطين بمعنى: أن الجن الفاسق الكافر يسمى: شيطناً، فالشياطين: هم العصاة من الجن، ومنهم الطائع المؤمن فلا يوصف بهذه الصفة.

حروف ثلاثة... ولكن...

إن العيب الخطير المهلك الذي كان في نفس إبليس وأدى إلى طرده ولعنه يتجسد في حروف ثلاثة لكلمة صغيرة «أنا» وليس الشأن في صغرها، وإنما فيما تحمله من دلالة على مرض قلب صاحبها بالكبر والاستعلاء وعظم النفس والعجب بها، رفض السجود، فقال له ربه: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ۝١٧﴾ قَالَ فَاهْط مِنِّي فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ۝١٨﴾ [الأعراف: 12، 13]. ومن سورة ص يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿قَالَ يَبْلِغُ مَا مَنَّكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي أَسْتَكَبرَ أَنتَ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ۝٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [ص: 75، 76]، بهذه الصفة أصبح أسوأ اثنين في الوجود هما: إبليس وفرعون. الأول بقوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ والآخر بقوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ أَتَعْلَمُ﴾. تخيل أن سبب الضياع والهلاك يبدأ بكلمة... وكلما تضخمت كلمة (أنا) في حياة إنسان كلما نال من هذه الصفة الشيطانية.

فاضدر هذه الكلمة ومدلرلها في حياتك وفي صلتك بالله والناس... البعض يقول: أنا غير مقتنعة بالصحاب... أنا لا أنور إلا من يزورني.. أنا أحسن من غيري... أنا... أنا... أنا، وكانت له عقلاً يستمع النظر في أمر الله، وله نفساً نوراً التكليف والأمر والنهي... إنه الطريق إلى الله يبدأ بخطرة تفارقت فيها نفسك والشعور بمذاقها والمفالة بسعرها.

مرض خطير

بأي حق يرفع الإنسان سعره وليس له من الأمر شيء، إن من هذا الموقف عبرة هامة ليته تكون لنا برهاناً من حياتنا.

- إن أول ذنب عُصي به رب العزة هو الكبر... فهل عندك منه شيء. لا تنس هذا السؤال أبداً؛ لأن عاقبته وخيمة... يكفي حرمان صاحبه من الجنة... وما يذكر الكبر والمتكبرون في القرآن إلا ومعهم جهنم.

فماذا قال ربنا تبارك وتعالى للمتكبر الأول: ﴿فَأَقِمْ وَنَهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ فكان الجزاء من جنس العمل.

- طرد من الجنة وإبعاد من الرحمة، فهذا المكان لا يصلح له المتكبرون.

- حكم بالصغار والذل لكل من تعالى على الحق، ورفض أمر مولاه.

يقول النبي ﷺ لكل متكبر: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»⁽¹⁾. وأخبر عن رب العزة قوله: «الكبرياء ردائي والعزة إزاري فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في جهنم» حديث صحيح رواه ابن ماجه⁽²⁾.

قد تسلب انساناً حقاً من حقوقه، وهو ليس لك، وهذا اثم عظيم... وهذا الترويب ليس لك، انه للمقادير على العطاء والمنع... انه لخالق الحياة والموت... انه لرب العزة والهيبة... فما يكون مهمهم همك وانت تنازع تريباً لرب العزة... اليس هذه جراءة شيطانية لم يملك ابليس لنفسه بعدها الا الذل والهوان... ان عدم التعالي ليس فضلاً منك، بل هو اعتراف بالضعف... ومن رحمة مولايك أن جعل هذا الاعتراف عبادة ترفعك في صفات الملائكة؛ لأنك صدقت في التعامل مع نفسك، فالريج مضمرت في الدنيا والآخرة وما بينهما.

صور خمسة لهذا المرض...

الأمر هام وخطير ولذلك يجب على كل واحد منا أن يفتش في نفسه ليعرف إن كان بها أحد أشكال الكبر يقع فيه بقصد، أو بغير قصد... لأن العقوبة مؤلمة:

* الذل والصغار في الدنيا.

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 147)، وأخرجه أبو داود في (الحديث: 4091)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 1998)، وأخرجه ابن ماجه في (الحديث: 4173).

(2) أخرجه ابن ماجه في (الحديث: 4175).

* جهنم والطرء من الرحمة في الآخرة.

ولتسهيل الأمر أعرض عليك خمسة أنواع لأشكال الكبر... وما عليك إلا أن تعرض نفسك عليها واحداً واحداً لتصل إلى نتيجة تبصر بها طريقك.

أولاً: ظلم الناس واحتقارهم

احتقار الناس والشعور بأنهم طبقة دنيا والتقليل من شأنهم بصورة تدفع إلى سهولة ظلمهم بالوقوع في أعراضهم أو تسفيه عقولهم.

- قد تفعل ذلك المرأة مع خادمتها في المنزل.

- قد يفعل ذلك الرجل مع مرؤوسيه في العمل.

- قد يفعل ذلك الشاب أو الشابة في الجامعة مع من هم أقل منهم ذكاءً.

- قد يفعل ذلك الغني مع من هم دونه في المستوى الاجتماعي أو مع الضعفاء والمساكين.

يقول النبي ﷺ في أمثال هؤلاء فيما يرويه الترمذي⁽¹⁾: «يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر على صورة الناس يغشاهم الذل... يدوسهم الناس بأقدامهم»... فهل أنت منهم...؟!

ثانياً: الاختيال في المشية...

قد يعجب المرء بجماله وثيابه ويريد أن يعبر عن هذا في طريقه بأن يمشي مختالاً ليجذب أنظار الناس إليه فتشاركه إعجابه، ليرى أنه فوقهم وهم دونه.

- الفتاة تتباهى بجمالها وثيابها.

- الفتى يتبخر ببذله وأناقته.

وليس هذا يعني أن الواحد منا يلبس الرديء من الثياب، يقول النبي ﷺ: «إن الله

(1) أخرجه الترمذي في (الحديث: 2492).

جميل يحب الجمال»⁽¹⁾. تستطيع أن ترتدي أحسن ثياب الدنيا، ولكن من غير كبر. روى البخاري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «بينما رجل يتبختر في مشيته، يمشي في برديه، قد أعجبتة نفسه فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة»⁽²⁾.

ثالثاً: عدم قبول النصيح

رفض النصيحة وعدم الرجوع إلى الحق بعد ظهوره لك ضرب من الكبر.

- ينصحك أهلك بالابتعاد عن رفقاء السوء.

- ينصحك صديقك بالصلاة... تنصحك زوجتك بتقوى الله.

- تنصحك صديقتك بالحجاب.

فرفض النصيحة والتكبر عليها إثم عظيم... قد تقول: أعرف أن هذا حق ولكن لا أفعله لأنه أتى من فلان... والحق أكبر منا جميعاً. يقول رب العزة من هذا الصنف: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْإِنْسَانُ بِأَشْكُرًا﴾ [البقرة: 206].

رابعاً: محبة خضوع الناس بين يديك

تحب الناس كلما رَأَوْكَ مشوا وراءك ونهضوا وقوفاً لحضورك، وتوسلوا إليك، وإلا أظهرت لهم العداوة والبغضاء.

- بعض الناس يحب أن يرى دائماً دموع زوجته وإذلالها أمامه ويسعد بانكسارها.

- وبعضهم يحب أن يرى من عيون الناس الرهبة منه، يزكُّونه إذا حضر ويلبونه إذا دعا ويطيعونه إذا أمر... يقول النبي ﷺ: «من أحب أن يمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار» رواه أبو داود⁽³⁾.

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 261)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 1999)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 133/4).

(2) أخرجه البخاري في (الحديث: 5789).

(3) أخرجه أبو داود في (الحديث: 5228).

خامساً: ترك الصلاة والدعاء.

هل فينا من يستطيع الاستغناء عن ربه؟! فأين يذهب...؟! هل منا من يدعي أنه يدبر أمره وليس من حاجة إلى مولاه...؟! لا أظن ذلك.

ولذلك كان ترك الصلاة والدعاء نوعاً من الكبر.

- إنسان يخاف على ثيابه من السجود، أو على رأسه من الذل لمولاه.

- إنسان يقول لست في حاجة إلى الدعاء، عندي من العلم ما يكفي.

والصلاة أفضل الصلوات بينك وبين الله، والدعاء عبادة تظهر فيها حاجتك لمولاه.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ

﴾ [غافر: 60].

قد تكون عبادتك قليلة مقصورة على الفرائض ولكن الشعور بالضعف والذل لله يسبب بك كثيراً من العباد. توهم إبليس أنه أفضل من سيدنا آدم فزده الله إلى قدره وهلك عليه بالذل... وكل شيء يضرعك عن حقيقة نفسك إنما هو وهم يصيب القلب بغيث... والله تعالى طيب لا يقبل إلا الطيب، والعينة طيبة لا يدخلها إلا الطيب.

وكان نتيجة الكبر...

إن الكبر جعل إبليس يفكر بحرق... نظر إلى النار والطين فوجد أن النار أفضل وأعماه كبره، إن طاعة الله أكبر من كل اعتبار، فالملائكة سجدت وقد خلقها الله من النور.

قال إبليس: ﴿أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ كيف يسجد الأعلى للأدنى؟! فمن وجهة نظره: أن النار أقوى وأعلى من الطين. وهذا غباء منه في التفكير أوقعه فيه مرضه بالاستعلاء والتكبر. وقد يظن البعض أن الحق معه. وليس الأمر كذلك.

وهذا هو الدليل...

إن من طبع النار الحرق والإفساد، ومن طبع الطين الخير والنماء، والله يقول: ﴿لَقَدْ

خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾.

لذلك لا تقل: إن إبليس على صواب ولكن كان عليه طاعة الأمر؛ لأنه أخطأ بالمعصية وأخطأ في منطقته وتفكيره. فالطين: طبيعته السكون والثبات، والنار طبيعتها الحدة والطيش... وإن كان فيها نفع ففيها الشر أيضاً وكلنا يخافها؛ لأنها قد تسبب الكوارث أحياناً، أما الطين فليس فيه إلا الخير. وإبليس أعماه كبره عن القياس الصحيح والتفكير السليم.

واللام يصلح طريقاً لإنسان متى فيه بمعنى البصيرة...؟ يعيش وهو لا يعترف لغيره بالفضل، ولا ينزلهم منازلهم... ويتكبر أن يذكرهم بالقابهم العلمية إن كانت لهم القاب... ولا يرى لعالم فضل علم... إلى أين يصل به طريق كل إشاراته التي ترصده فيه بطر المعنى وغمط الناس؟!... اليس إلى مهنتهم؟!!

وجهة نظر خاطئة...

البعض يرى أن له نظراً في أمر من أوامر الله تبارك وتعالى، ويتأوله الشيطان له حتى يقنعه به. فيكوى بناره في نهاية الأمر.

البعض يقول: إن منع الفتیان عن الفتیات يخلق نوعاً من الكبت النفسي يجعل كلا منهما مشتاقاً إلى الآخر بدافع من الفضول وحب التجربة. ولذلك يجب أن تتركهم يختلطوا ببعضهم لتستقر النفوس ولا تسعى وراء الشهوات.

وفي هذا الكلام رائحة إبليس... إن الغرب فعل ما يقوله هؤلاء فما جنى منه إلا انتشار الشهوات الرخيصة حتى ملوها فلعجوا بعد ذلك إلى الشذوذ.

ولذلك قيّد الإسلام علاقة الرجل بالمرأة عن طريق الزواج، ولا يجوز غيره ليفضى الرجل إلى المرأة وتفوضى إليه... ومن هذا استمرار للحياة النقية قبل وبعد الزواج، وحفظ للأعراض وصيانة لكرامة المرأة أن ينالها كل من أراد.

إن تعطيل أمر من أوامر الله يفسد على الإنسان حياته... ومعه الشعور بأنك بعقلك القاصر تستطيع أن تأخذ وتترك من دين الله كما تريد وكما يهمل لك، فهذا ضياع للأخرة مع الدنيا بدخول مهنتهم، أما الذي يسلم لأمر الله فيقول رب العزة فيه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 97].

الفهم العميق...!!

إن حقائق الإيمان وحدها لا تكفي وإنما يجب العمل بمقتضى هذا الإيمان . وإبليس لم يكن كافراً بالله ، بل إنه لم يجرؤ أن يقول كلمة فرعون : ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ . إنه يعرف أن الله هو الخالق ، فقال : ﴿خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتُهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: 12] .

ويقسم بعزته . قال : ﴿فِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ . ويؤمن بقدرة الله على الإحياء كما يؤمن بيوم القيامة . فقال : ﴿أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ . فهل نفعه إيمانه عندما رفض أمر ربه؟! كلا لم ينفعه .

- قد تسمع من يقول : أنا أؤمن بالله ... أنا أفضل من غيري . ثم تسأله : هل تصلي؟ فيقول لك : بصراحة لا . ولكني أعرف أن الله هو الخالق الرازق .

- وما الإيمان؟ أليس هو ما وفر في القلب وصدقه العمل؟ لا فرق بين الإيمان والعمل به ، ودائماً يذكرهما القرآن معاً : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الرعد: 29] .

- وصاحب الخلق هو صاحب الأمر ، والإيمان به من الأولى يقتضي طاعته في الثانية والله يقول : ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ . ويقول : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ .

- إن عنوان ديننا : «الإسلام» والذي يدين به اسمه : «مسلم» . أي يترك الأمر كله لله ، يسلم له من الأمر والنهي ويطيعه فيهما من غير تردد أو نظر ما دام قادراً على ذلك .

قد تقع في ذنب وانت تعرف أنه حرام واثم وتتمنى التوبة منه ، ومعرفه الخطأ وتمنى البراءة منه بداية الفير... أما المصير على الذنب ويدعى اباهته... ويتباهى به ويقول : لن أتركه . فقد وقع في مشكلة إبليس الأولى التي أدت به أدت الى طرده وإبعاده .

إعلان هام...

إن إبليس لم يكتف برفض السجود لآدم بل أعلن الحرب عليه ، ووضع لنفسه أهدافها وخطتها ووسائل الهجوم فيها... لذلك فهو عدو لنا... فهيا نعلن عداوتنا له كما أمرنا ربنا : ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: 6] هذا عهد إلينا .

إن إبليس أخذ على نفسه عهداً ولا نجاة منه إلا بأن تتركك بعهد الله إلينا. قال: ﴿أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [١٤] قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا يَخْلِفُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَخَلْفَهُمْ وَعَنْ يَمِينِهِمْ وَلَا يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ [الأعراف: 14 - 17]، لقد عرض لنا القرآن عصيانه وشرع حربه كما رسمها صاحبها، فصارت نية العدو لنا مكشوفة وكيده معروفاً. فالذي يخسر المعركة بعد ذلك... ألا يستحق...؟!

إن الله ﷻ عادي إبليس من أهلنا وطرده ولعننه من أهلنا وكشف لنا عداوته وصره بعدما كرمنا بالفضل والنفخ. أليكون العزاء أن نترك مولانا ومخالقنا ونرتع مع عدونا عقد المصالحة ليدخلنا مهنهم... ﴿يَتَسَلَّلُوا لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾.

جزاء المتكبر...

قال رب العزة لإبليس: ﴿فَأَقِمْ وَتَنَافَعًا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [الأعراف: 13]. والصغار عكس الكبر. وكان الآية تحذر كل متكبر من الذل في الدنيا، والوطء بالأقدام يوم القيامة.

وهل هناك أدل من انسان يدرسه الناس باقداصهم... وليس ذلك لاهل شارع او مدينة... وانما يدرسه اهل العشر... فيهمس تهت اقدام البشر كلهم... ومن برضى هذا لنفسه؟!

كراهية لا حد لها...

تستطيع أن تدرك حجم كراهية إبليس لآدم من خلال طلبه لمدة العداوة، لم يكتف بحياة سيدنا آدم أوحياة الجيل الذي يأتي بعده، وإنما قال لرب العزة: ﴿أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾. طلب أن يمتد عمره بعمر ذريته إلى يوم القيامة. ليفرغ مع كل واحد من ذريته حقه وعداوته.

أرايت ماذا يفعل العقد والكراهية بصاحبهما، لا يبدأ له بال ولا يستقر له مقام... لو كانت هناك حياة للدنيا بعد القيامة لطلبها إبليس... حقاً إن الكبر أصل الشرور... يُعمي البصيرة، ويجهل العقد والبنفص يتحكم في تصرفات صاحبه... فلم يكن له دواء إلا مهنهم.

كنز الأمل...

فسق إبليس عن أمره فاستحق الرجم والطرْد، ودعا الله بطول البقاء فقال رب العزة له: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ [الأعراف: 15]. فاستجاب دعاءه وهو شر الخلق. أفلا يستجيب ربنا تبارك وتعالى لك أيها العبد العائد إلى مولاه؟! يقول أحد التابعين: لا يغرنك ما فيك من العيوب والمفاسد، فإن الله استجاب لشر من خلق وهو إبليس.

سهما كان هالكاً أيها المسلم لا تياس أبداً من روح الله وعفوه، فلا زنب يغفره من رحمته إلا الكفر... إنك أطعت الله في أصب الأشياء إليه وهو الإيمان به... واطعته في أبغض الأشياء إليه فلم تكفر به... فادع الله أن يغفر لك ما بينهما... وعندما أخبر إبليس أنه سيأتي من كل مكان... من الإمام والخلف وعن اليمين والسمائل، لم يقل: ومن فرقهم... فلا يستطيع أبداً أن يهرل بينك وبين ربك... فارفع هامتك إليه فتلك هبة طريقها آمن... وإذا كان أول أمرك طاعة وآخره توبة فليس للزنب بينهما مكان.

صدق يا ابن عباس...

رسم إبليس منهجه من الضلالة فقال: ﴿فِيمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَكَ مِرْطَكَ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [الأعراف: 16]... وانتبه هنا إلى أمر خطير وهو سوء الأدب مع الله. يقول: يا رب، أنت أضللتني.

- البعض يقول: إن شاء الله وعندما يريد ساصلي وأرتدي الحجاب.

- ومنهم من يقول: كنت أريد الاستقامة، ولكن الله هو الذي جعلني في وسط شلة الضياع.

مثل هذه الظلمات لمحة من لمحات إبليس، وكان الله هو الذي كتب المعصية على عباده وأجبرهم عليها... ولذلك يقول رب العزة بعد أن عرض قصة آدم وإبليس في سورة الأعراف: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُنْهَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأعراف: 28 - 30].

يقول إبليس:

- سأجلس في طريق من يذهب إلى المسجد، وفي طريق من تريد الحجاب، وفي طريق من يصل رحمه، وفي طريق كل من يبادر إلى الخير ولو بالنية... ولا يعبأ إبليس بأصحاب البارات فقد كفوه حربهم.

يقول عبد الله بن عباس: جاء إلي رجل يقول: زعم اليهود أنهم لا يوسوس لهم في صلاتهم. فقال له: صحيح، وماذا يفعل الشيطان بالبيت الخرب.

إن الشيطان رفع لواءه ضد الطائعين، وكلما ازداد العبد هداية زادت حرب الشيطان له... هذه هي طبيعة المعركة هل ستصمد أم تضعف؟!

ولذلك يحتاج المسلم أن يرفع أمامه لواء المهادنة، وشعاره: طاعة، وتوبة... مهاهدة الطاعة بالنية والعمل والصبر عليها. ومهادنة المعصية بتركها والتوبة من فعلها... وكيد الشيطان ضعيف... ومع ذلك لا يتركك حتى تضع قدميك في الجنة.

حذار منها...

ذكر الشيطان أربع جهات يحاول النفاذ منها إلى ابن آدم وهي في قوله: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ [الأعراف: 17] وترك جهتين؛ لأنه لا يستطيع الدخول للعبد منهما، وهما: فوقهم، وتحتهم. ثم قال: ﴿وَلَا يَحْصِي أَعْتَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾.

انظر... القرآن يعرض لك وسائل الشيطان ومداخله... ثم يعرض عليك الوسائل التي تكون بها أكثر شكراً لله.

فما عمل الشيطان لتحذر من جهاته؟!

. انه يُنْسِيكَ رَبَّكَ، وَيُنْسِيكَ نِعْمَهُ لِنَعْمِدَ شُكْرَهَا... هذا عمله من الجهات الأربع.

رسائلك لرد كيده:

كن دائماً متذكراً لنعم الله عليك، فإن تذكر النعمة يرقى القلب. يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿فَاذْكُرُواْ آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 69]. وهذا دائماً بهرك في القلب حبّ دليّ النعمة.

. دائماً اهتم بهاتين المجهتين: جهة السجود، وجهة الدعاء... فهما مهبط الرحمة وداء بهرؤ إبليس على الاقتراب اليك منهما.

الخسران المبين...

اقرأ معي قول الله في سورة النساء بتدبر... وهيا نتأمل الواقع سوياً، ونقارنه بقول إبليس في هذه الآيات يقول تبارك وتعالى: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِىَ إِلَّا إِنْتَا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١٧٨﴾ وَلَا ضِلَّتْ لَهُمْ وَلَا مِئْتَهُمْ وَلَا مَرَّتُهُمْ فَلَئِنَّمَا لَأَنْتَ الْغَفُورُ الْكَرِيمُ ﴿١٧٩﴾ فَلْيَغْزِرْكَ خَلْقُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴿١٨٠﴾ [النساء 117 - 119].

هل تدرك مدى الكراهية والحقد؟. يقول:

سأهلكهم بالأمانى الكاذبة وأمهمم بالفحشاء تحت مسمى الزواج العرفي... انتبه... يغرر الشيطان بالفتاة فتقبل الارتباط بشاب بهذه الصورة، وبعد ذلك يكرهها ويرغب في الزواج من أخرى زوجاً صحيحاً... ويضيع كل شيء بعد ذلك.

يقول إبليس: سأدفعهم إلى الضلال والكبائر... من لا يسيء إلى أبويه في المعاملة، أغريه بترك الدرس والتحصيل... ولماذا تذاكر دروسك... أنت ذكي وتستطيع في آخر شهر تحصيل كل شيء... وبعد ذلك يرسم المسكين ويكوى الأبوان بنار هذا الرسوب... فلماذا تبخل عليهما بفرحة النجاح؟! أليس هذا عقوباً؟! إن الله حرم على الأبناء كلمة: «أف» وهي أقل ما يدل على الضيق والضجر... وهذه الكلمة لا تقال باللسان فقط، وإنما يترجمها بعض الأفعال... وإهمال المذاكرة لا يساوي كلمة «أف» فقط... بل يفوقها بكثير... إنه يساوي كلمة «تف» فهل تجرؤ عليها... وهل هما يستحقان ذلك منك؟

ويقول: الحجاب فرض ولكن لا داعي منه الآن؛ لأنك ستخلعينه في الفرح لإظهار جمالك ولتحدث بفرحك الناس فليكن ارتداء الحجاب من بعد الزواج... وفي النهاية فرح سيء يرتع فيه الشياطين، وصدق رب العزة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: 81].

يقول: سأجعلهم يغيرون خلق الله، سأجعل الشباب يحلقون بعض رأسهم ويتركون

بعضه ويضعون الأقراط في أنوفهم... ساحارهم في كل ميدان: في الشكل، وفي المضمون، وفي الأخلاق، وفي المعاملات، وفي الأسرة،....

واليك التعليق الرياني على من يصاب الشيطان في هذه المعالاة لتعرف نتيجة العداوة التي تفعل عنها: ﴿وَلَا ضَلَالَتَهُمْ وَلَا مَرْتَبَهُمْ فَلْيَبْتَكَنْ مَاذَاكَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْتَبَهُمْ فَلْيَغْدِرْكَ خَلَقَ اللَّهُ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَخْرُجُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾ [النساء: 119 - 121].

ثرى... هل نجح...؟

لقد ذكرت وسائل معركة الشيطان في أكثر من سورة من القرآن... وتختلف اللهجة من سورة لأخرى، ولكن كلها تتفق على أن في هذا المخلوق غلٌ وحقد يكفي لضياح البشرية كلها لو أطاعته.

اسمع قول الله في سورة الإسراء على لسان إبليس: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أُخِّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَآخُتَنُكَ دَرِيئَتُكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 62].

هل أحسست بالكراهية وسوء الأدب، هل شعرت بالحقد في حروف ومعاني هذه الكلمة «لأختنكن» إنها مؤكدة بلام قسم ونون تأكيد ثقيلة إن هذه الكلمة مأخوذة من كلمة «حنك» أي «فم»... إنه يقول: سأضع لجاماً في أفواههم كالبهائم.

- بعضنا لا يقرأ القرآن... وإن أمسك بالمصحف يشعر أن التلاوة ثقيلة عليه، والله ﷻ يسر القرآن للذكر... ولكنه لجام الشيطان في الأفواه... وقال إبليس: لن يفوتني منهم أحد إلا القليل... فهل نجح في ذلك معك؟

فقال رب العزة له: ﴿قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبَعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُهُمْ جَزَاءً مَّقْشُورًا ﴿١٢٢﴾ وَاسْتَفْزَزَ مَنْ اسْتَطَاعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمْ بِخِيلِكَ وَرَجَلَكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٣﴾﴾ [الإسراء: 63، 64].

إن كلمة «أذهب» ليس معناها القبول، وإنما فيها غضب وإهانة، وكل من رضي لنفسه موالاة الشيطان، وتركه يضع اللجام في فمه فجزاؤه جهنم.

هل تتصور طبيعة الحرب والمعركة...؟! سوف يبدأ إبليس هجومه بجنوده: الركبان والمشاة، وبصوته المثير للشهوات.

بإتيك صوت الإثارة الهندسية... ولد وبنيت يتهدتان عبر الهاتف في ضففة عن الأهل... انه ليس هديهما... انه صوت الشيطان.

صوت المال الحرام ومشاركته فيه... صوت التبذير وضياح الكسب فيما لا يفيد أو فيما يضر.

صوت عدم قيام الأسرة على طاعة الله، فيشاركهم في الأولاد فينشؤون نشأة شيطانية.

صوت الشلة الذي يغطي على صوت النداء للصلاة... وكل هذه وغيرها أصوات لإبليس... فهل نجح معنا في هذا كله أو في بعضه... يقول رب العزة: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُمْ فَأَتَّبَعُوهُ﴾ [سبا: 20].

أنت السبب...

فهل نفيق لهذه المعركة... لقد ضيع إبليس الكثير من أجدادنا وأخرج أبانا الأول من الجنة... وجندك وقوتك أعظم وأقوى من إبليس وجنده... فهل تدور المعركة من طرف واحد وأنت غافل عن سلاحك... إذا فأنت الذي تعينه على نفسك وتسمح له بغوايتك. يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: 50]. أنت الظالم لنفسك ببعذك عن الله... وأنت الأعلى بطاعة الله... وما حيلة الشياطين من الإنس والجن إذا كان الله معك؟!...

ان الهرايح من همدك الرياني اذا اطاعت ربها... عفة العين واللسان، المحافظة على الرضوء، عفة الازن عن النيمة... وفرت هذا كله ان ابليس لم يرت سلطاناً عليك.

. فليس له أن يناقشك في المعصية حتى ينفك بصراها.

. وليس له أن يهبرك عليها قسراً وبالقوة.

فقد قال الله له: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: 42] فلا يملك معك إلا مهمل الرسمة والصوت الضفي... ولا

بمك منك ابداً ما دمت على الاستقامة وأمرالك: طاعة وتربية... يبدأ معك بالكبائر فإن لم يفلح فَيَهْرُوتْ عليك الصفائر أو بفريك بالإكثار من المباح حتى يلهيك به عن الطاعات... فلا تعبد وقتاً طداء الصلاة في المسجد، ثم لا تعبد لها وقتاً في العمل والمنزل وينتهي بك الأمر إلى ضياعها وما أسهل بقية الدين بعد ذلك... فإن لم يستطع بهملك على كراهية الآخرين واحتقارهم... والعقد والبغضاء بهلقان الدين فالنتيجة واحدة... فإن لم يستطع نباهنس والشهوات أو يسلط عليك رفقاء السوء... لراء لا ينكسه ابداً وصدت رب العزة ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [البقرة: 168].. ومع ذلك أنت الأعلى مع الله وبطاعته... وأنت الأعلى إذا وقعت في معصية ثم ندمت عليها. فكيف تهلك ومعك كلمة النجاة... الاستغفار والتوبة، وبها نهباً أبرك آدم.

وخلقت حواء...

طُرد إبليس من الجنة وانفرد بها آدم، فعاش فيها وحيداً فشر بالوحشة، فخلق الله ﷻ حواء من ضلعه وهو نائم. فلما استيقظ وجدها بجواره، فسألها: من أنت؟! قالت: امرأة. قال: وما اسمك؟ قالت: حواء. قال: ولم خُلِقْتَ؟ قالت: لتسكن إليّ.

- فلماذا قالت امرأة؟ لأنها خلقت من المرء - الرجل -.. فالمرأة جزء منه.

- ولماذا سميت حواء؟ لأنها خلقت من شيء حي - من ضلع الرجل -..

- ولماذا خلقت وهو نائم؟ يقول القرطبي: حتى لا يشعر بالأم خلقها فيتغير قلبه عليها عندما يتذكر الألم. فيظل في قلبه الحب لها ويشعر بالحنان نحوها.

ونلاحظ أن المرأة حينما تحمل وتلد تشعر بالأم مضاعفة ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ [لقمان: 14] ومع ذلك حبها لأولادها لا يوصف، وذلك لأن العاطفة عندها غالبية فقد بُنيت عليها.

وما معنى السكن؟ إنها كلمة تدل على الطمأنينة والأمن والاستقرار، فالرجل من دون المرأة ضائع غير مستقر. يقول تبارك وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: 21].

أيها الزوجة المسلمة، أنت من آيات الله أتقدين هذا المعنى؟ أنت مُستقر المودة والرحمة والسكن... فهل تقومين بهذا؟

كأن من الممكن أن يضلن الله آدم وهواء في آن واحد... ولكن تركه يعيش وحده فترة من الزمن حتى شعر بالرهبة... شعر بها وهون في العينة حتى خلقت هواء وأزالته وصنعه... فلا ينسى الرجل هذا المعنى وتلك الحكمة من خلقها بعد أن أصبح بالأمن معها... وكأن العينة بما فيها لم تفر هذا الشعور فنهضت به هواء... فهل يعني الأزواج والزوجات ذلك.

العرض قبل الطلب...

لا يصح بحال أن تراعي المرأة هندامها عندما تريد الخروج ولا تهتم بمثل هذا الاهتمام في بيتها ومع زوجها، تجلس معه على أي شكل وفي أي حال. فمثل هذا لا يجوز. تستطيع الزوجة المسلمة أن تجعل البيت سكناً بإشاعة الهدوء فيه ورعاية الأولاد لتهيئة الجو للزوج... فيأتي وعلى وجهك ابتسامة رقيقة مع حسن الهندام... انتبهي لهذه الصفة جيداً، فأنت سكن له... ربما يزعجك من زوجك الجلوس مع الجرائد داخل البيت ومع الأصدقاء خارج البيت... قد يزعجك هذا وتطلبين منه بعض وقته معك، وهذا حقك... ولكن قبل المطالبة بالحق هل أدت ما عليك من واجب؟

ليت الزوجة المسلمة تتعلم من السيدة خديجة ؓ التي كانت نعم السكن لرسول الله ﷺ فاستحقت عند موتها أن ينزل جبريل ليقول للنبي عليه الصلاة والسلام: أقرئ خديجة من الله السلام، وقل لها: إن الله يشرك بقصر من قصب في الجنة لا صخب فيه ولا نصب⁽¹⁾.

إن القانون الذي تستقر به حياة الإنسان مكرن من كلمتين: حق، وواجب، وعندما يقيم الإنسان حياته على نصف هذا القانون حق فقط لا يستقر به المقام ولا يهد السكن... فعلى كل من الزوج والزوجة أداء الواجب قبل طلب الحق.

كيف وهي جزء منك...؟

يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدِّ وَخَلَقَ مِنْهَا

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 6223).

زَوَّجَهَا ﴿١﴾. فخلقت حواء من جزء من آدم وكان من الممكن أن تخلق بمعزل عنه... وذلك ليشعر الرجل أنها قطعة منه لا يظلمها ولا يقسو عليها. يقول النبي ﷺ: «النساء شقائق الرجال»^(١). وآخر وصية للنبي عليه الصلاة والسلام قبل موته: «استوصوا بالنساء خيراً»^(٢).

والجمعيات التي تقوم تحت اسم «تحرير المرأة» مشكلاتها محلولة بقول الله ﷻ: ﴿يَنْتَفِيسْنَ وَجِدَةً﴾ [الأعراف: 189، والأنعام: 98]. فكيف تقسو أو تتكبر عليها وهي بَغُض منك؟!

ملاحظة...

خلق سيدنا آدم من التراب، وخلقت حواء من ضلعه المحيط بالقلب. وهذه إشارة إلى الجهة التي سيتعامل معها كل واحد منهما.

- فالرجل يتعامل مع الأرض، فهو مزارع أو صانع أو تاجر أو مقاتل.

- المرأة سوف تتعامل مع الرجل كزوج ومع الأبناء كأم... وهذا يتطلب العطف والشفقة والرحمة والحب، وهي معانٍ قلبية... فسبحان الحكيم الذي قدر كل خلق ثم هداه لما يصلح أمره.

يا لسعادتك بهذا المعنى...

يقول النبي ﷺ: «استوصوا بالنساء خيراً فإنهن خلقن من ضلع أعوج، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت لتقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيراً»^(٣). ... وحواء خلقت من الضلع الأيسر لآدم وعوج هذا الضلع مطلوب ليحيط بالقلب ويحميه من الصدمات.

فعوج المرأة المشار إليه في الحديث ليس عوج السلوك ولكنه العوج المطلوب لأداء وظيفة هامة في حياة الرجل والأبناء وهو الجانب العاطفي الذي يغلب على تصرفاتها وحكمها على الأشياء... فليحذر الرجال من تقويم هذه العاطفة بالقسوة والقوة فتفقد المرأة الوظيفة التي تجد معها السكن.

(1) ذكره المجلوني في «كشف الخفا» (الحديث: 453/2).

(2) أخرجه ابن ماجه في (الحديث: 1851).

(3) أخرجه البخاري في (الحديث: 3331)، وأخرجه مسلم في (الحديث: 3632)، وأخرجه ابن ماجه في (الحديث: 1851).

فليفهم الرجال من الحديث أن هذا العوج من المرأة أمر فطري له حكمة عظيمة ومطلوب لتفيض المرأة بحنانها على بيتها لتصون قلب زوجها وأبنائها...

ولهذا أوصى الرسول الرجال بالنساء خيراً في أول الحديث وآخره حتى يرضيك بها كما هي ويحذر كسرها بالجفوة وسوء المعاملة.

- هناك رجال يعاملون زوجاتهم بعنف وقسوة حتى تموت عاطفتها نحوه في قلبها.

- وهناك نساء تصر على التعامل مع غيرها بعنف من غير أن يجبرها أحد على ذلك...
تحب أن تسمع أنها بعشرة رجال... تحب أن زوجها على الهامش وهي صاحبة الرأي والكلمة... فتذهب عاطفتها وتقاسي الدنيا منها.

إياك أن تفسدي بيتك بهذا... وحافظي على عوجك العاطفي الجميل الذي يمنح السكن والمودة والرحمة.

اتعرف أيها الزوج أن أهمل ما في المرأة قلة عقلها وزيادة عاطفتها. ولما كانت هادئة العاطفة وكاملة العقل لسمرت أنك تعاشر رجلاً في البيت ولأنك تقير فيه مع صديق لك لا مع امرأة تفيض بالحب والحنان... فاستمتع بها كما خلقها الله وكما أوماك رسوله ﷺ.

فقال: لا...!!

يذكر الإمام القرطبي معنى لطيفاً في خلق حواء وهو: قالت الملائكة لآدم: أتحبها يا آدم؟ فقال: نعم. فقالوا: أتحبينه يا حواء؟ فقالت: لا! يقول القرطبي: وفي قلبها أضعاف ما في قلبه من الحب. ثم يعلق بقوله: لو صدقت امرأة في حبها لزوجها لصدقت حواء. ولعل القرطبي رحمه الله كان يعاني من مشكلة...!!

ولعل العياء منعها من ذكر حبها للملائكة... وأحياناً يكرن التمتع عند الزوجة وحبس الكلمة في نفسها أدل على التصريح بها من قولها أحياناً، إلا أنها على كل حال لا ترضى على أهل عسها من أن ترضعهم هنأناً بالنظرة والرحمة كذات العنايين... فلا تستطيع أن تفرق بينهم من معاني الحب إلا بالكبر والصغر والرهولة والذوثة.

إنها الجنة...

يقول ربنا تبارك وتعالى في سورة طه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١٧٦﴾ فَقُلْنَا يَنْكَادُمْ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١٧٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١٧٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١٧٩﴾﴾ [طه: 116 - 119].

نحن الآن في الجنة التي تنتهي فيها معركة الشيطان معنا، بعد الشقاء في الدنيا أنت الآن في موطنك الأصلي وبلدك الحقيقي: الجنة، سكنك الأول.

- كل شيء فيها متاح وميسر... الثمار، والشراب. لا جوع ولا عطش لا حر ولا نصب.

- وبها نعمة جليلة قد نغفل عنها وهي: ﴿وَلَا تَعْرَى﴾... لم يعرف الرجل والمرأة العري لقد كساهما الله في الجنة منذ اللحظة الأولى... ولكن عرف العُري عندما خالف أمر الله... وكلما تقدمت حضارة وهي بعيدة عن الله كلما زاد العُري بين أهلها.

- لقد أنعم الله على آدم بسكن الجنة ولكن لم يدخلها وحده، بل أسكن الله معه زوجته حواء... وكل منا بحاجة إلى دخول الجنة ومعه زوجته... لذلك يجب أن نهتم بالمرأة فهي التي أزالنا وحشة سيدنا آدم في الجنة.

- أسمع بعض الرجال يقول: إذا دخلت الجنة تكون معي زوجتي ألا يكفيني حياتي معها في الدنيا...! وكان الحب بينهما قد انتهى قبل انتهاء الدنيا. إياك أن تظن هذا فبيوت الطائعين يعمرها الحب في الدنيا وفي الجنة.

ولد شيء بهد الحب والعاطفة بين الزوجين مثل حب الله وطاعته... اسمع سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام عندما رأى زوجته الزهراء تسألك بالسراك فآخذ يلاطفها بكلمات رقيقة، وآخذ منها السراك وقال له:

هُنَّتْ بِأَعْوَدِ الْأَرَاكِ بِشَفْرِهَا مَا خَفْتُ مِنِّْي يَا أَرَاكَ أَرَاكَ
لَوْ كَانَ غَيْرُكَ يَا أَرَاكَ قَتَلْتُهُ مَا قَارَ مِنِّْي يَا سِرَاكَ سِرَاكَ

لماذا يلهم الشيطان أفراحننا من الهدل فلا تسمع الزوجة ما تسمعه المفطرة... ويكره أحياناً خلع الضرس أهرق من قول كلمة رقيقة تسمعها منك زوجتك... هيا نُسكت صرنا الشيطان وننتعز مع زوجاتنا على إبهاد المردة والرممة.

لماذا الإصرار على الشجرة...؟

هذه حيلة معروفة للشيطان... يجعل الإنسان يكره الحلال ويزين في عينيه الحرام ويرغبه فيه من المأكول والملبس والمال والجنس... إذا كان سيدنا آدم نسي وأكل من شجرة واحدة وتاب وانتهى الأمر... فأنت تأكل منها كل يوم... ألف شجرة يزينها لنا إبليس من الحرام ويكره إلينا الحلال.

- لا تشرب العصير... الخمر أفضل أو البيرة.

- لا تلاطف زوجتك... زميلتك في العمل أجمل.

وقد تكون هذه المرأة أقل من الزوجة جمالاً... ولكنه صوت الشيطان من الحرام ولجامه للفم من الحلال.

- أتعرف أن وجود زوجة طيبة من حلال تتمنى رضاك نعمة تستحق الشكر... هل تصدق على نفسك ظن إبليس: ﴿وَلَا تَحْذَرُ أَكْثَرَهُمْ شُكْرًا﴾ [الأعراف: 17].

جاهد نفسك مرة وامتنع عن الحرام وبعدها ستجد حلاوة في قلبك لم تجدها من قبل... وجاهد نفسك مرة أخرى وعود لسانك ملاطفة زوجتك ستجد نفسك لا تستطيع الاستغناء عنها بغيرها. وعندها:

- يفرح ربك برجعتك.

- تفرح بك الملائكة.

- يُصان عرضك ومروءتك. فلم يعرف الإنسان العُزّي إلا بالمعصية.

وانت اخيتي المسلمة اباك ان تمكّني اصداً منك الا بزواج صميم... صانك ربك نصرني نفسك ان تكرني كلاً مباهاً بلمة او قبلة فتذهب قيمتك.

بمجرد إشارة...

يقول ربنا تبارك وتعالى على لسان إبليس: ﴿فَوَسَّسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّادُمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمَلَكَ لَا يَبْلَى﴾ [طه: 120]. فهل هي شجرة الخلد؟... لا ولكن الشيطان هو الذي سماها بهذا الاسم ليستدرج آدم إلى الأكل منها.

- يسمي الخمر مشروبات روحية .

- يسمي الغُزي موضة .

- يسمي الإلحاد حرية وإبداعاً .

- يسمي الزنى زواجاً عرفياً... إنها حرب عن طريق الألفاظ وتسمية الأشياء بغير اسمها .

يقول ربنا تبارك وتعالى في سورة الأعراف: ﴿وَقَاسَمُهُمَا إِيَّيْ لَكُمْ لَيْنَ النَّصِيحِينَ﴾ [الأعراف: 21] .

وهذه هي المعصية الثانية: القسم كذباً. فلم يأكل آدم من الشجرة من أول الوسوسة بل قاوم مقاومة شديدة، فاضطر إبليس أن يقسم كذباً ليقنعه، يقول تبارك وتعالى: ﴿فَدَلَّهُمَا بِعُرِّيَّتٍ﴾. نهى ربنا سيدنا آدم عن الاقتراب من الشجرة... فقال له إبليس: اجلس تحتها من غير أكل، ولم يتخيل آدم وزوجته أن هناك من يقسم بالله كذباً وذلك لقاء فطرتهما... وفي نهاية الأمر ذاقها سيدنا آدم وزوجته ولم يأكلا فغضب رب العزة وكان ما كان.

ونحن بضعتك علينا إبليس من غير قسم - ما عليه إلا أن يشير إلى المعصية ونحن نلبي.

. لا يقول اشرب خمراً، ولكن... صاحب فلاناً وفلاناً واجلس معهم... ويقع فيها في نهاية الأمر.

. تقول ساهب مع السلة ولن أشاركهم في المعصية... هل تذكر أن الله نهى آدم عن الاقتراب من الشجرة... مهرد الاقتراب.

. وغضب رب العزة بمهرد أن ذاق الشجرة فعرفنا العُري بالمعصية لمرة واحدة... فكيف بمن يضع الذنوب على الذنوب... ولكن الباب مفتوح وينتظر رجعتك.

السؤال المنتظر...

سؤال ألمه يوجع... قال رب العزة: ﴿وَقَادَهُمَا رَبُّهُمَا آتَرُ أَنَّهُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقْلَ لَكُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: 22]. فماذا تقول عندما يسألك؟ يا فلان، ألم أنك وفعلت وفعلت... فما ردك عليه؟! روي أن الله يخاطب عبده العاصي يوم القيامة

بقوله: «عبدى استهونت بلقائى... أكنت تتجمل للناس وتأتينى بالقبيح؟! أكنت عليك هينا؟! ألم أكن رقيقاً على عينيك وأنت تنظر بهما إلى الحرام؟ ألم أكن رقيقاً على شفيتك وأنت تنطق بهما الحرام؟ ما غرك بي؟ عبدى اقرأ كتابك».

فما شعورك وقتها وأنت تمر على المعاصي والكبائر... كيف هالك عند قراءتها؟!!

. هل تشك في هذا اليوم؟.... تقول: لا. صدقت.

. هل تؤمن به؟ تقول: نعم، صدقت.

يقول رب العزة: ﴿وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصفات: 24] فمن علم أنه راجع فلا بد أن يعلم أنه موقوف. ومن علم أنه موقوف فلا بد أن يعلم أنه مسؤول ومن علم أنه مسؤول، فلا بد أن يهضر للسؤال إجابته:

العمُرُ ينقص والذنوب تزيد وتقال عثرات الفتى فيعود
هل يستطيع جحود ذنب واحد رجل جوارحه عليه شهود

الهبوط

ميثاق العداوة لدى الشيطان...!!

نريد أن نرسخ عداوة الشيطان في نفوسنا كما رسخت في نفسه عداوته لنا إلى يوم القيامة عبر الأجيال المتعاقبة... فاعرف ميثاقه لتهيئ له في نفسك من العداوة ما يليق به.

يقول تبارك وتعالى في سورة الإسراء على لسان إبليس: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأَحْنَنَنَّ دُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٦) قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (١٧) وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَلْجَبَ عَلَيْهِمْ بِخِيلِكَ وَرَجَلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْتُهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (١٨) [الإسراء: 62 - 64].

وفي سورة النساء يقول إبليس: ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (١٨) وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَأَمْرُنُهُمْ فَلَيَكُنَّ عَادَاتِ الْأَنْعَامِ وَلَأَمْسُقَنَّهُمْ فَلْيُغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا (١٩) يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (٢٠)﴾ [النساء: 118 - 120].

وفي سورة الأعراف: ﴿قَالَ فِيمَا آغَاوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَا تَجِدُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧)﴾ [الأعراف: 16، 17].

أرايت العداوة والبهيش الذي أعد له لك من أهلها: الضمير، والركبان، والمعاة، والأصوات... فماذا أعددت له في نفسك من عداوته وكرهيته!!

وسائلنا لصد هذا العدوان...

لست ضعيفا في حربيك مع الشيطان، بل معك إحدى عشرة وسيلة كل واحدة منها تكفي لكسره.

1 - الاستعاذة: أكثر من الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم.

2 - ذكر الله تبارك وتعالى بأي صورة. فهو الوسواس الخناس، أي الذي إذا وقعت الغفلة وسوس، وإذا ذكر الله خنس... قراءة المعوذتين تطرد الشيطان، وآية الكرسي من قرأها حفظه الله في ليلته، وسورة البقرة لا تقرأ في بيت إلا وطرد منه الشيطان ثلاثة أيام...

فإذا كان إبليس قد أعد لك أسلحته فإن معك من الأسلحة ما يهزمه ويطرده ويحميك منه بل يحرقه... قال رسول الله ﷺ: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة، كانت حرزاً من الشيطان سائر اليوم»⁽¹⁾. فلا يقربك طوال النهار. فإن قلتها مساءً أحرزتك منه طوال الليل. فأنت في حصن من الشيطان ولو اقترب منك احترق طوال أربع وعشرين ساعة.

مثل هذه الوصايا إن لم نبادر بالعمل بها فسوق نتأثر بها في المرة الأولى والثانية، وبعد ذلك لن تؤثر فينا؛ لأننا أهملنا تطبيقها. نسمع عن الذكر ولا نذكر، ونسمع عن بر الوالدين ونعقهما. فإلى متى؟

3 - الوضوء: فالشيطان مخلوق من نار ولا يطفئها إلا الماء.

4 - غض البصر: النظرة المحرمة سهم مسموم من سهام إبليس، وغض البصر يكسر هذا السهم فيبطل مفعوله في قلبك، فيقوى إيمانك بعد أن حاولت السهام إضعافه.

5 - ترك صحبة السوء: وتصاحب أهل الدين؛ لأن الشيطان ذئب الإنسان، والذئب يأكل من الغنم القاصية - أي الوحيدة المنفردة بعيداً.

6 - الصلاة: فعندما يسجد المسلم يتنحى الشيطان جانباً وهو يبكي ويقول: أمر بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فعصيت ولي النار.

7 - التوبة: فقد قال إبليس لله: وعزتك وجلالك لأغوينهم ما دامت أرواحهم في أجسادهم. فقال رب العزة له: وعزتي وجلالي لأستغفرون لهم ما داموا يستغفرون لي.

(1) أخرجه البخاري في (الحديث: 3293)، وأخرجه مسلم في (الحديث: 6783)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 3486)، وأخرجه ابن ماجه في (الحديث: 3798)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 302/2).

عرفت فالزم... ولا تعرن الشيطان على نفسك فتلقني له سلامك وتسلمه قيادك، وهذا ظلم فادع لنفسك... «يُس للظالمين بدلًا» أي عاقل يترك هوار ربه حيث السعادة والنعيم في الأولى والآخرة... إلى هوار الشيطان حيث الشقاء بالمعصية والاكثواء بنارها يوم القيامة. لو راددت هوارًا عن نفسه لتلقي به من مكان مرتفع لتأبى عليك وقادرك ولا عقل له، ولكنه يدرك بطبعه أن الهلاك في طاعتك. فكيف بك يا مكسرًا بالعقل والتفكير؟! أنطع من يسرقك إلى جهنم وأنت راضٍ. ويقول رب العزة لأهلها يوم القيامة هالكًا لهم عن إبليس: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبَلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ [يس: 62]. فابن عقلك!!

لفتة لطيفة...

اتصل بي شاب وأخبرني أنه أحصى ذكر إبليس في القرآن فوجده ذكر في أحد عشر موضعاً، وذكرت الاستعاذة بالله منه إحدى عشرة مرة... وتأكدت من صحة العدد... فإن تساوى العددين فلك من الله الفضل؛ لأنك تلجأ إلى الذي كرمك، وطرده ولعنه ورحمه من أهلك ليحميك منه... فما هيلته معك في معركة تستعين عليه فيها بالله.

لا تنس...

عندما تذكر قصة آدم وحواء وإبليس أو أي قصة أخرى، فذلك لأخذ العظة والعبرة... ولا نخوض فيما لا طائل من ورائه. ولهذا هناك قاعدة أرجو أن نحفظها لتضبط سلوكنا في الحياة، وتقيم طريقة تفكيرنا، وتزن لنا ما نهتم به وما نتركه، وهي:

كل مسألة لا يبنى عليها عمل فالحوض فيها من التكلف الذي نهينا عنه شرعاً.

والدليل على ذلك...

أن البعض يشغله أسئلة لا تهم المرء في شيء، ولا يترتب عليها تكليف أو عمل بخصوص موضوعنا، مثل:

- أي الأشجار أكل منها آدم: التين أم العنب؟ والأمر يتساوى في الحالتين.

- الجنة التي سكنها آدم، هل هي جنة الخلد أم غيرها؟ وإن كان جمهور العلماء يرى: أنها جنة الخلد، إلا أن الأمر يضيّع الوقت ولا فائدة من ورائه.

- كيف دخل الشيطان الجنة؟ بكيفية يعلمها الله وحده.

أرهبوا الله نسي القاعدة السابقة فسرف تهرن علينا الكثير من الامور.

تُرى من المسؤول...؟!

أسكن الله آدم وحواء الجنة، ووسوس لهما الشيطان بكيفية يعلمها الله وحده، فأكلا من الشجرة... فمن منهما المسؤول عن هذه المعصية؟!

كل الديانات السابقة قالت: إن حواء هي التي أغوت آدم وزينت له الأكل من الشجرة... حتى حضارة الغرب التي تتشدد بحماية المرأة. والإسلام هو الوحيد الذي برأ حواء ولم ينسب إليها وحدها سبب الأكل من الشجرة.

اقرأ معي من سورة الأعراف لتعرف أنهما مسؤولان عن الذنب سوياً. يقول تبارك وتعالى: ﴿وَبَكَدُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٩) فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِ نِيَّتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنْ كُنَا لِنَنْصُرَنَّكُمَا فَدَلَّنَاهُمَا عَلَى بَعْضِ أَفْئِدَةٍ الشَّجَرَةِ فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءُ نِيَّتِهِمَا وَطُفِقَا بِيَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا لَكُمَا عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٢١﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٢﴾ [الأعراف: 19 - 23].

فأنت ترى من خلال صيغة المثنى في الآيات أنهما اشتركا في التكليف، وفي وسوسة الشيطان لهما، وفي الأكل من الشجرة ومن الاعتذار لله مما صنعا.

يقول الله تبارك وتعالى في سورة طه: ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَذَكَّرُ هَلْ أَتَى عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لِي بَلَى﴾ (طه: 120) إذن حواء بريئة ولكنها مشتركة معه. ولكن مسؤولية آدم أكبر؛ لأنه الرجل فكان توجيه العتاب من هذه الآية إليه.

فلا يطلب رحمة من رحمة الله ثم يدعي أن زوجته هي التي تلج عليه

ففي هذا يقول النبي ﷺ: «كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به»⁽¹⁾. وإن كانت شريكة له في الوزر لأنها حرّضته عليه، إلا أنه سيحاسب عليه أولاً.

. وبالتالي لا يهزم للمرأة أن تضطر زوجها للمهرء الى المال الصرام بكثرة طلباتها.

ضحخ هذه الأخطاء...

تسربت إلينا بعض الأخطاء من الحضارات الأخرى والإسلام بريء منها، ولكن يرددها بعض أتباعه. منها:

- المرأة مسؤولة عن أي معصية في المجتمع، وهي سبب البلاء.
- النساء ناقصات عقل ودين... وهذا الخطأ سببه عدم فهم النصوص.
- ولن أرد عليها الآن، ولكن أصحبك لتتعرف على بعض الحقائق:
- أول من سجد لله بعد رسول الله ﷺ امرأة. وأجمع أهل العلم أن أول من عبد الله بعد رسول الله ﷺ هي السيدة خديجة ؓ.
- قال رسول الله ﷺ عن السيدة عائشة: «خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء» فلو كان نقص الدين والعقل بالمعنى المتبادر إلى الذهن لما صح أخذ نصف الدين عنها.
- ضرب الله المثل في القرآن بالمرأة: «امرأة فرعون» و«مريم ابنة عمران».
- ليتنا نعي هذه المعاني لتعمر ثقنتنا في المرأة وتعمر للمرأة ثقنتها في نفسها.
- ونؤمن أن صلاح المجتمع بصلاح المرأة؛ لأن الرجل يعمل وهي تربي النسيء على الطهر وطاعة الله. ويفسر المجتمع طاقات نافعة إذا لم تفعل هذا.

فهتم وافق هوى...!!

قد يحلو لبعض الرجال ذكر نقص المرأة للدين والعقل للتهوين من شأنها واحتقار رأيها. وقد يكون سبب هذا هوى في النفس.

(1) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (الحديث: 136/19)، وفي «المعجم الصغير» (الحديث: 225/1).

أما التفسير الصحيح لنقص العقل والدين هو نقص الكم لا الكيف، فالمرأة يأتي عليها أيام لا تصلي ولا تصوم، فالنقص في العدد لا في القيمة. وقد تسبق بعض النساء الرجال في القيمة وعمق الدين لا في العدد. فهذا نقصها في دينها. أما في عقلها فذلك لغلبة العاطفة عليها لحكمة إلهية تستقر بها أمور الحياة مع الزوج والأولاد.

ركز عليها لخطورتها...

أسكن الله آدم الجنة وأخبره أنه فيها لا يجوع ولا يعرى، لا يشعر بظمأ، ولا يشعر بالحر... ففهم إبليس أن الأكل من الشجرة يحرمه من هذه الأربع... ولكنه صب اهتمامه على واحدة منها: ﴿فَوَسَّسَ لَهَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهَا مَا وُورِيَ عَنْهَا مِنْ سَوْءِئِهِمَا﴾ [الأعراف: 20]. يركز الشيطان على كشف العورات ليقع المجتمع في كوارث من الجري وراء الشهوات والجنس والاغتصاب وشيوع الزنى العرفي تحت اسم الزواج... والبداية كانت نظرة بعد كشف عورة.

هل عرفت يا أختي المسلمة أهمية المهبأ.

خمسة من ستة...

إذا تابعنا الآيات التي ذكر فيها العري من قصة آدم وإبليس نجدها ذكرت خمس مرات في ست آيات... ألا يدل هذا على خطورة هذه القضية؟!

في الآية (22) من الأعراف لم يقل رب العزة جاعوا - مثلاً - وإنما قال: ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾.

الآية (26) منها: ﴿يَبْنِيْ عَادَمَ قَدْ أَرْزَلْنَا عَلَيْكَ لِيَاسًا يُؤْرِي سَوْءَتَكُمْ وَرِيشًا وَلِيَاسَ النَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ يَذَكَّرُونَ﴾.

الآية (20) منها: ﴿فَوَسَّسَ لَهَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهَا مَا وُورِيَ عَنْهَا مِنْ سَوْءِئِهِمَا﴾. والقرآن في نهاية كل قصة يذكر العبرة منها ومضمون الاستفادة ليتنا نتعامل معه بصورة أفضل... نغوص في معانيه ولا نكتفي بالنظرة السطحية. العبرة من هذه الآية: ﴿يَبْنِيْ عَادَمَ قَدْ أَرْزَلْنَا عَلَيْكَ لِيَاسًا يُؤْرِي سَوْءَتَكُمْ وَرِيشًا وَلِيَاسَ النَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 26].

يعني: يا بني آدم إياكم من تعرية الظاهر أو الباطن...
أرايت العبرة: غطاء دسرة للجسد والريح بطاعة الله وتقواه.

حتى لا نبكي على اللبن المسكوب...

قد يقول البعض هناك محجبات أخلاقهن سيئة، وهناك مصلون يقعون في الخطأ، وهناك من يحج من أجل اللقب... فهل معنى هذا أن نترك الحجاب والصلاة والطاعات. فينتشر في المجتمع العُري والمعاكسات للفتيات والزنى العرفي، ولا يأمن أهل على ابنتهم من المجتمع.

نحن نريد غطاء الجسد ومعه غطاء الروح... كلاهما مطلوب ولا نفرط بأحدهما لخطأ يقع فيه البعض، وهذه صيانة لأنفسنا قبل صيانة المجتمع.

يقول رب العزة عن إبليس: ﴿يَزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَهُمَا﴾. هل تحس بهذا اللفظ والدلائل الكامنة من صوته ونطقه وحركته ﴿يَزِعُ﴾. والهدف هو كشف العورة.

- تلبس المايوه على الشاطئ.

- ترتدي استرتش داخل الجامعة.

وعندما يقع المعظور تبكي البنات ويبكي الأهل ويفتر الهانئ من التبعة والمسؤولية تماماً كما يتبرأ الشيطان من أتباعه يوم القيامة بقوله: ﴿فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾.

إنها سوءة...

هل لاحظت أن كلمة العورة وكشفها سمي: (سوءة)، وهذا لأنها شيء يسيء للإنسان كشفه ورؤيته، سوءة تميمت الحياء والمروءة والنخوة، وتقتل معاني الرجولة والأنوثة... فتضيع الثقة وتظهر الفواحش.

فهل يرضى واحد لنفسه فتح الإنترنت على موقع اباصي ليرى السوءة... ان هذه المناظر تلوث الفطرة... ومع مضي الوقت يظن هذا الإنسان أن الدنيا كلها على غرار ما يرى ويشاهد فيفضل.

رما منع الله شيئاً على الإنسان إلا لمصلحته... فلماذا نصرنا فاعلمون؟!...

لقد نجح الشيطان ولكن...

لقد ركّز إبليس جهده مع آدم وحواء على نزع اللباس لكشف العورة ونجح معهما... وهو يمارس هذا مع كل الأجيال... فصنع مثل هذا مع عرب الجاهلية ونجح فكان الرجال والنساء يحجون البيت عُرايا.

ولذلك أول شيء فعله الرسول ﷺ بعد فتح مكة نادى ألا يطوف بالبيت عريان.

لقد أوهم إبليس العرب أنه لا يجوز لهم أن يطوفوا بالبيت في ملابس عصوا فيها ربهم؛ لأنه لن يقبل منهم، ومع أنهم أهل حياء تعرّوا حتى يقبل منهم في ظنهم.

واليوم في عصر التقدم يسلك إبليس نفس الطريق مع النساء، ولكن تحت اسم الحرية الشخصية ومواكبة الحضارة والموضة. ولكل بيئة ما يناسبها من مكر الشيطان.

وان نهب الشيطان مع البعض إلا أن هناك من هزمه وكسره فاصبيرا من مبعج الله على خلقه وهم حاملو راية الرضا. وسبق أن ذكرنا رسائلهم وقد اعترف لهم إبليس بالسبب فقال: ﴿فَعَزَّيْكَ لَأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ﴾ (١).

من نتائج معصية آدم...

المعصية الوحيدة لسيدنا آدم جرّت عليه أشياء، والمطلوب أن يفكر كل واحد في هذه النتائج حتى توقظه عند الوقوع في معصية.

1 - الفضيحة بظهور السوء.

2 - الخروج من الجنة ومن مجاورة المولى تبارك وتعالى والهبوط إلى الأرض. ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾.

3 - التفرقة بينه وبين حواء عند نزولهما للأرض.

4 - سماه الله بالمعصية ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ [طه: 121].

5 - العتاب الشديد ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: 22].

والصبيح: من حُبِسَ قلبه عن الله، والاسير: من أسره هواه وهلك هناك أصعب من الطرد والابتعاد بعد العبرار الكريم والسقاء بعد النعيم، ولو لم يكن للمعصية شرم إلا هذا لكفى لصيانة النفس عنها.

لا تستهن بها...

لقد حدث كل هذا بمجرد أن ذاق آدم من الشجرة، وليس الأمر في صغر الذنب، ولكن في عظمة الأمر الناهي الذي أذنبت في حقه فخالفت أمره في لحظة غفلة. فتضع الحواجز بينك وبين ربك... فأزلها بتوبة ولا تستهن بالمعصية.

فإذا كانت كل هذه قد صدرت لآدم بذنوب واحد... فكيف بمن يفعل الكثير والكثير. وليس هذا قنوطاً من عفو الله ولكنها دعوة إلى عدم تهربين شأن المعصية.

فليحذر كل عاص...

وللمعصية أمراض وبلايا نذكر بعضها علماً تعيننا على عدم الاستهانة بها والوقوع فيها.

* غضب الله ﷻ: يقول تبارك وتعالى في القدسيات: «أنا الله لا إله إلا أنا، إن أظمت رضيت، وإن رضيت باركت، وبركتي ليس لها منتهى. وإن غصيت غضبت، وإن غضبت لعنت، ولعنتي تصل إلى السابع من الولد» رواه الإمام أحمد.

* يبغضك المؤمنون: يقول الحسن البصري: ليحذر أحدكم أن تلعه قلوب المؤمنين وهو لا يشعر، يعمل بمعصية الله فيلقي الله بغضه في قلوبهم.

* حرمان العلم: يقول الإمام الشافعي ﷻ:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يهدي للمعاصي

* حرمان الرزق: يقول النبي ﷺ: «إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه»⁽¹⁾.

(1) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 277/5).

* الوحشة بينك وبين الله: لا تستطيع أن ترفع يديك تدعوه من كثرة الذنوب.

* الوحشة بينك وبين الناس: ترى أثر معصيتك في سلوك الناس وتعاملهم معك.

* ظلمة في الوجه: يقول ابن عباس: إن للمعصية سواداً في الوجه وظلمة في القلب، وضعفاً في البدن، وضيقاً في الرزق وبغضة في قلوب الخلق.

تطرد الطاعات: فالسيئة تطلب أختها ولا تجد مجالاً للطاعة. فيهون العبد على ربه فيعصيه ولو عز على ربه لعصمه من المعصية ﴿وَمَنْ يُؤْنِ اللَّهُ فَمَا لَمْ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ [الحج: 18].

* تكسب القلب الذل.

* تبديل النعم.

* ربط اللسان: وذلك عند أمس الحاجة إليه. فعند الموت تجد أحدهم لا يستطيع أن ينطق بالشهادتين بسبب جبال المعاصي. حكى لي شاب أنه في أثناء سفره بالطائرة كان معه رجل أنيق في يده حقيبة. ثم جاءه ملك الموت والطائرة في السماء. فحاول الشاب تلقينه الشهادة فيمسك الرجل بالحقيبة، فيحاول الشاب تلقينه الشهادة مرة بعد مرة. فيقول الرجل: لا أستطيع مع أنه كان ينطق بالسؤال عن الحقيقة.

بقر الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 132] فلنمسي على الإسلام حتى نضمن أن نموت عليه.

كيف تقاوم المعصية...؟

أفضل شيء أن تستعين بالله على طاعته. ولذلك علمنا ربنا أن نقول في كل صلاة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

- أول شيء الاستعانة بالله ودعاؤه وطلب العون منه على مقاومة المعاصي.

- مجاهدة النفس.

- دوام اليقظة للشيطان.

- البعد عن أصحاب السوء.

- الإكثار من الشاء على الله والإكثار من ذكره.

- قراءة القرآن.

- الصلاة في المسجد.

- حضور دروس العلم وسماع شرائطها.

حال أدى إلى توبة...

بعد أن وقع آدم وزوجته في المعصية أخذاً يجريان في الجنة خجلاً، فناداهما الله تبارك وتعالى فيما يرويه الحاكم: «يا آدم أفراراً مني؟! قال: لا يا رب بل حياء». فهل نستحي نحن من الله إذا وقعنا في شيء لا يرضيه؟! يقول ابن القيم: فرحك بالذنب أشد عند الله من الذنب، وضحكك وأنت تذنب أشد عند الله من الذنب لقلّة حياثك من الله، وحزنك على فوات الذنب أشد عند الله من الذنب، وحرصك على أن تستتر من الذنب وأنت تذنب أشد عند الله من الذنب، لعلمك أنه مطلع عليك.

سيدنا آدم عنده حياء من الله وأراد أن يتوب. فماذا صنع!

مشى بين يدي الله تبارك وتعالى وقال: يا رب، ألم تخلقني بيدك. فقال الله: بلى يا آدم. قال: يا رب، ألم تنفخ فيّ من روحك؟ قال: بلى يا آدم. قال: يا رب، ألم تسجد لي الملائكة؟ قال: بلى يا آدم. قال: يا رب، ألسنت أنت الذي قلت لي يرحمك ربك يوم عطست في الجنة؟ قال: بلى يا آدم، قال: يا رب، أليست رحمتك تسبق غضبك؟ قال: بلى يا آدم. قال: يا رب، أرايت إن تبت أكنت مُرجعي إلى الجنة. قال: بلى يا آدم. قال: إذا أتوب إليك يا رب». رواه الحاكم.

لم يعرف آدم كيف يتوب... نحن الآن نعرف كيف نتوب... بالاستغفار. ولكن آدم وهو أول البشر لم يكن يعرف ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتَيْنِ فَنَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 2]. علّمه رب العزة أن يقول: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: 23]... قال له الله: يا آدم، قل كذا كذا وأنا أتوب عليك فقال الله فتاب الله عليه.

عصيب منا أن نعرف الله ولا نعبه. ويتردد اليينا بعطفه ورحمته ثم نذهب الى غيره. وهو الكريم الذي يعطي من غير أن يُسأل. فلماذا لا نتوب ولا نعوذ. اذا كنا

قد كرهنا المعصية لنتائنها ومصائبها... ألم نهب التوبة الآن... ان من طبيعة العبد الغفلا ومن طبيعة الله الرحمة. فليس البلاء في الذنب بقدر ما هو في تأخير التوبة منه.

وتطبيق أيضاً...

- هل من الممكن أن يتوب أحدنا الآن؟ ... نعم ... بعد سنين من عقوق الوالدين وشرب الخمر أو المخدرات ... نعم. إذا ندم على ما فات وعزم على التوبة. غفر له الآن من لحظة النية الصادقة.

- وهل إذا رجع إلى الذنب يتوب منه مرة أخرى؟ ... نعم وإن عاد إليه مرة بعد مرة ... فلا شيء يحجزه عن التوبة.

- وهذه لم تكن تصلي ولم ترتد الحجاب ممكن أن تتوب؟ نعم، وتبديل كل الذنوب إلى حسنات.

جاء أعرابي إلى النبي ﷺ وقال له: يا رسول الله... أ رأيت إن أذنبت ذنباً؟ قال: «يكتب». قال: أ رأيت إن تبت؟ قال: «يمحى». قال: أ رأيت إن عدت؟ قال: «يكتب». قال: أ رأيت إن تبت؟ قال: «يمحى». قال: أ رأيت إن عدت؟ قال: «يكتب». قال: أ رأيت إن تبت؟ قال: «يمحى». فقال الرجل: وإلى متى يمحو ربنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يمل من المغفرة حتى تملوا من الاستغفار». فهل فينا من يمل من طلب العفو والمغفرة.

واذا لم يرح العاصي عفو ربه فمن يرحم؟... واذا ضاقت به الأرض بما رحبت فإلى من يفر؟... واذا لفظه الكون لذنوبه فمن يقبله؟... انه الله الذي وسعت رحمته كل شيء.

ما أحلى هذا المعنى...

والدليل على هذا أن آدم عندما استغفر ربّه غفر له واصطفاه، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ فَأَنبَأَ عَلَيْهِ وَهْدًى﴾ [طه: 121، 122]، ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

- وهل إذا تبت أنا عن الذنب يرفعني الله إلى مصاف الصالحين العابدين الطائعين؟ ...

نعم يجتبيك معهم وقد تسبقهم. فالطريق إلى الله سهل ميسور ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 69].

لقد كان ذنباً واحداً...

لقد ظل آدم يبكي طويلاً على ذنبه. ومع ذلك يوم القيامة عندما تبحث البشرية عن شفيع لها من حر الموقف فتستنجد بسيدنا آدم لأنه أبو البشر يقولون له: ألا ترى ما نحن فيه اشفع لنا عند ربك. فماذا يقول: نفسي نفسي لقد أكلت من الشجرة.

سيدنا آدم يظل يذكر ذنبه حزناً على الوقوع فيه، مع أنه ذنب واحد. ومنا من هو كثير الذنوب ولا يمثل الأمر عنده شيئاً... كالذي عنده سيارة قديمة ولا يحزن لأي تجريح في دهانها؛ لأنها قديمة ومثل هذا لا يؤثر فيها. ولكن عندما يستبدلها بسيارة جديدة يألم لأي أثر فيها ويعالجه من فوره.

وهكذا النفس المرصلة بريها لا يصبر صاحبها على الدنس يعلق بها، ويظهرها سريعاً لنقاء صفحتها بالتوبة أو بالصبح المبرور.

أيها القلب عد إلى الله...

يقول ابن القيم: لسان الحال أن الله يقول لآدم: يا آدم، إنما ابتليتك بالذنوب لأنني أحب أن يظهر فيك فضلي عليك وجودي وكرمي بك. يا آدم، لو لم تذنوبوا لذهبت بكم ثم أتيت بقوم يذنبون فيستغفرون فأغفر لهم، يا آدم، كنت تدخل عليّ دخول الملوك على الملوك قبل المعصية. أما الآن فسوف تدخل عليّ دخول العبيد على الملوك وهذا أحب إلينا. يا آدم، إذا عصمتك وعصمت بنيك من بعدك فعلى من أجود برحمتي وعلى من أجود بعفوي وعلى من أجود بمغفرتي، وعلى من أجود بتوبيتي وأنا التواب الرحيم. يا آدم، لا تجزع من قلبي لك، اخرج من الجنة فما خلقت الجنة إلا لك. ولكن اهبط إلى دار المجاهدة: الأرض. وابدأ فيها بذور التقوى. حتى إذا اشتقت إليّ وأحببت العودة إليّ قبلتك وفتحت لك باب جنتي ورددتك إلى مقامك وجعلتك في جواربي. يا آدم، ذنب تذل به إلينا أحب إليّ من طاعة تُمَن بها علينا، يا آدم، أنين المذنبين أحب إليّ من تسبيح المرائين.

إن التوبة من أبرز معاني العبودية لله... ينكسر قلبك له وهو يعلم أنه ليس له ملجأ

سواه ولا يملك العفو إلا هو . يقول رب العزة لعبده النادم المسيء: «يا ابن آدم، إنك إذا ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو جئتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»⁽¹⁾.

فلماذا لا نُقبل عليه... هل لدينا من هو أكرم وأرحم وأبر وألطف...!! حاشا لله .

يقول العلماء: رُبَّ معصية أورثت ذلًّا وانكساراً خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً.

إن رب العزة يدعوك ويرحم رحمتك... وعنده الأجر العظيم... مغفرة، صَبْر، تبديل السيئات حسناً، فهل تعبد أقل من هذا عند غيره؟

ما الفرق بينهما...؟

كل من إبليس وآدم عصى ربه... فما الفرق بين معصيتهما؟... ولماذا تاب الله على آدم ولم يتب على إبليس .

- لأن إبليس أصر على المعصية ولم يطلب التوبة منها... احذر أن تكون من أصحابه .

- وآدم ندم وتاب... وهذا هو الفرق... التوبة .

- معصية إبليس معصية قلب... وسببها مرض الكبر الذي جعله يطلب العمر المديد لإضلال ذريته من بعده حتى يوم القيامة .

- معصية آدم معصية جارحة أي خطأ يخص أحد أعضاء الإنسان . ومعاصي القلوب أشد من معاصي الجوارح . قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»⁽²⁾ . ولذلك احذر الحقد والحسد وكل آفات القلب؛ لأنها تفسد على الإنسان دينه وآخرته .

(1) أخرجه الترمذي في (الحديث: 3540)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 127/5) .

(2) أخرجه مسلم في (الحديث: 147)، وأخرجه أبو داود في (الحديث: 4091)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 1998)، و(الحديث: 1999)، وأخرجه ابن ماجه في (الحديث: 59)، و(الحديث: 4173) .

فكيف يتساوى عبد ندم وقال: يا رب أتوب... فكيف أتوب إليك علمني واقتلني... بعبد آخر بصره على المعصية ويتباهى بها ويحمل في قلبه الفل على الطائمين الصالحين. وكل إنسان معاني الله المعاند كبراً على الطاعة وأهلها... كالرجل الذي يأكل بسماله فقال له النبي ﷺ: «كل بيمينك». فتكبر على طاعة النبي. وقال: لا أستطيع. فقال له النبي: «لا استطعت» فسلت يده⁽¹⁾.

استشعر هذا المعنى...

نزل آدم إلى الأرض ووضعت العداوة بينه وبين الشيطان. هل تتصور نزول آدم من السماء... ماذا كان شعوره...؟!

انتبه جيداً... لكل مسلم درجة في الجنة ولكنها درجات متفاوتة. يقول النبي ﷺ: «ما بين الدرجتين في الجنة كما بين السماء والأرض»⁽²⁾. فتصور ندمك إذا فاتتك درجة نالها غيرك. وتحاسب نفسك على ضياعها.

- ليتني صليت الفجر في اليوم الفلاني.

- لولا الذنب الفلاني لعلت درجتي.

- لو قرأت القرآن لبلغت أعلى عليين.

والحرف في القرآن بعشر حسانات. وقولنا: (بسم الله الرحمن الرحيم) تسعة عشر حرفاً يعني: (190) حسنة. وتلاوة الجزء تساوي (70,000) حرفاً يعني (700,000) حسنة، سبعمائة ألف حسنة في أقل من ساعة!!

انت الآن في الدنيا والفرصة في يدك وطرح بنائك فاغتنمها الآن قبل أن يكره هناك أن فما أشد ندم أهل الجنة على أوقات مرت بغير طاعة لما رأوا من الكرامة والمفاخرة.

وتم الهبوط...

أغلب العلماء يرى أن هبوط آدم كان في الهند عندما نزل، ونزلت حواء في جدة فأخذ

(1) أخرجه الدارمي في «سننه» (الحديث: 97/2)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 45/4).

(2) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (الحديث: 309/2).

كل واحد منهما يبحث عن الآخر حتى تقابلا على جبل عرفات الذي تعارفا عنده.

مقومات هذه الكلمة...

بدأت تنمو فيهم غريزة الجنس والتناسل، ولم تكن في الجنة... وبدأت حواء تلد في كل بطن ذكراً وأنثى... وبدأت عمارة الأرض بالزراعة والصناعة. فلم يكن آدم عابداً فقط، بل كان ناجحاً في عمله بعمارة الأرض... وهكذا ينبغي أن يكون كل إنسان متدين.

فكيف نرضى لبلاد الإسلام ألا تكون في الصدارة... وآدم فهم المهمة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾.

أنت خليفة الله في أرضه... فهل تعي هذا المعنى... تفكر هل تستطيع تفجير الكون... نعم فتلك وظيفتك... والله تعبدك بالعمل الصالح لا النتائج فلا تقلل من شأنك وقد عينك ربك خليفة.

الأقصى بداية ونهاية...

جاء في الأثر: أن آدم لما هبط إلى الأرض فرأى سعة الأرض، فقال: ألا من عابد ليسبح لك معي في هذه الأرض. قال الله تبارك وتعالى: سيكون من ولدك يا آدم وسيكون لي في أرضكم مساجد أعبد فيها وأوصى الله تبارك وتعالى آدم أن يبني له بيتاً، فبنى البيت الحرام. يقول تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ وسميت: - بكة - لكثرة البكاء فيها. ثم أمر الله الناس أن يحجوا إلى البيت الحرام. ثم أمره الله أن يبني المسجد الأقصى.

هل رأيت القضية التي كانت تشغل سيدنا آدم عند نزوله الأرض... قضية العبادة والتسبيح... ورسالة من يشاركه العبادة... فما الذي يشغلنا ونفكر فيه... ومع هذا التفكير عند سيدنا آدم نهج في خلائفته وعمارته للأرض كما نهج في عبادته فهو نبي مصطفى.

سأل الصحابة النبي ﷺ: كم كان بين المسجد؟ فقال: «أربعون سنة»، فإذا كان أبونا آدم قد بني البيتين وبينهما أربعون سنة، فخاتم النبيين جمع له البيتان في آية واحدة فنزل عليه: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾.

فهل نَسَنَاتَ لزيارة بيت الله المرام. وهل نَسَنَاتَ لتحرير الأقصى وننالها لما
أصابه... فما القيمة التي نلناها في أنفسنا لهندين البيتين ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْرُ اللَّهِ فَإِنَّهَا
مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: 32].

تعلم من أبيك...

لم يقدر إبليس أن يوقع آدم في معصية قط بعد نزوله الأرض... فلا يلدغ المؤمن من
جُحر مرتين... فما بالنا نلدغ من الجحر الواحد في اليوم (20)، (30) مرة. وأيقن إبليس
أن ليس لآدم سبيل مرة أخرى فتوعد ذريته... هيا نتعلم من أبينا هذه الرحلة.

شوق إلى الجنة...

روى ابن حبان أن آدم عاش حتى بلغ (940) سنة. وكان له الكثير من الأبناء، ونزل
عليه (21) صحيفة... وفي نهاية عمره جمع أولاده وقال لهم كلمة جميلة، قال فيما يرويه
الحاكم: «يا أولادي اشتقت إلى ثمار الجنة».

هل نَسَنَاتَ نحن إلى العهنة لنستريح من عناء الدنيا وشقائها... ألم تنهرك
النفس إلى دار الراحة والنعيم الأبدي. إن آدم عاش ما يقرب من عسرة قرون
ولم ينس العهنة أبداً. لو عادينا الشيطان حتى العداوة لطارت نفوسنا إليها.

ثم جاءت الملائكة وجاءه الموت فقبضوا روحه يوم الجمعة وغسلته الملائكة وكفنته
ووضعوه في التراب ثم قالت الملائكة: يا بني آدم، هذه ستكم بعد أبيكم آدم.

لهذا قلّ الحب في البيوت...

مات آدم... ترى ماذا فعلت يا حواء...؟!

لقد بكّت عليه بكاءً كثيراً دام عاماً... لقد حزنّت حزناً شديداً، فقد كانت تحبه...
نعم كانت تحبه حباً جماً...

آه على حالنا... آه منك أيتها الدنيا... ماذا فعلت بقلوبنا...؟!

لقد قلّ الحب في بيوتنا؛ لأن الدنيا تملكتنا...

انظروا إلى الطائعين... إلى الصالحين...

فهذا عمر بن الخطاب ؓ تزوج أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب فأحبها حباً شديداً وبادلتها نفس الحب وأحبته حباً شديداً، ولكن العجيب من هذا الحب أن عمر بن الخطاب ؓ مات يوم الأحد فماتت أم كلثوم يوم الاثنين...!! وهذا حبيبنا وقودتنا... رسولنا محمد ﷺ بعد ثلاثة عشر عاماً اشتاق إلى زوجته الحبيبة، ثمرة فؤاده، خديجة ؓ...!! يسمع صوت فيقول: هذا صوت استئذان خديجة...!! سبحان الله فالصوت كان صوت أختها انظروا إلى مدى الحب الذي كان يكنه الرسول ﷺ للسيدة خديجة.

لقد قلَّ الحب في البيوت؛ لأن النساء لم تعد سكناً للرجال؛ فكانت الهزاء منهنس العمل فلم يستوص الرجال بهن خيراً كما وصاهم رسول الله ﷺ حينما قال: «استوصوا بالنساء خيراً...»⁽¹⁾.

ولكن الفرصة ما زالت أمامكما... هيا.

ترى أيكما يبدأ بما عليه...؟ أعرف أنك تريد المبادرة هيا واجعلها في عينيك... فالأجر العاجل يستحق المبادرة وهو سكنك وراحتك وحماية قلبك... والأجر الآجل يستحق... إنها الجنة... فهل تشمران لها...؟

ترى في أي الجنين أنت...؟

ذكر النبي ﷺ أنه في رحلة المعراج رأى رجلاً ينظر عن يمينه فيرى سواداً عظيماً من الناس فيضحك، ثم ينظر عن شماله فيرى سواداً عظيماً من الناس فيبكي. فقال ﷺ: «من هذا يا جبريل؟» فقال: هذا أبوك آدم... ينظر عن يمينه فيرى أولاده الذين أطاعوا الله فكتبهم من أهل الجنة، وينظر عن شماله فيرى أبناءه الذين عصوا الله فيبكي؛ لأنهم من أهل النار...

لم يستفد هؤلاء من قصة أبيهم فأبكره... صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه ونسوا عداوته لهم... فهل تهب أن تكون ممن أبكره، أم تفضل أن تكون ممن أضلهم أباهم بعدادة شيطانهم... فاختار لنفسك بصدق... أن تكون من أهل الجنة لا يحتاج إلا حباً لأهل الطاعة وكرهية للشيطان ومكره وصرته.

(1) تقدم تخريجه سابقاً.

الله اكبر... الله اكبر

روى البخاري عن رسول الله ﷺ: «أن الله ينادي يوم القيامة: يا آدم أخرج بعثاً إلى النار. فقال: وكم بعث النار يا رب؟ قال: من كل (1000) أخرج (999) إلى النار و(1) إلى الجنة»... فبكى الصحابة. فقال النبي: «لم تكونون؟» فقالوا: يا رسول الله، وأين نذهب نحن؟ فقال ﷺ: «من يأجوج ومأجوج والأمم السابقة (999) ومنكم واحد... وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة»، فتزلزل المسجد وقالوا: الله أكبر... فلما رأى النبي فرحتهم، قال: «أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة». فكبرنا. فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة». فكبرنا: الله أكبر... الله أكبر.

هل شعرت بسعة رحمة الله... انها رهن من يطلبها... اطلبها بالمعاني التي تهديك اليها من الإحساس بعداة الشيطان... وتكفيك له الطاعة والتوبة... اطلبها بهيب النبي ﷺ... فالمرء يمشي مع من أصب... فما هيلة الشيطان معك والهيك أكبر من كل كبير... ورحمته أسبى بك إلى الجنة من ذنبك إلى النار... هيا عرفت فالزم...

نبأ ابني آدم

لا تنخدع بالدنيا...!

أسأل سؤالاً: كم كان عدد السكان في هذا البلد منذ عشرين عاماً؟ كان في مصر - مثلاً - بضعاً وعشرين مليوناً. فإذا رجعنا بالزمان (100) سنة، كم كان تعدادهم وقتها؟ فإذا رجعنا عشرة قرون... وإذا امتد بنا الرجوع إلى عهد ابني آدم وكانا يمثلان ثلث البشرية على وجه الأرض كلها... فكم من القرون المتطاولة يصل بنا إليهم؟

ما أقصر الدنيا! وما أقصر القرون الطويلة! التي عبّر عنها القرآن بقوله: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ﴾ [المائدة: 27]... كان النبي ﷺ يقرأ هذه الآية والصحابة معه منذ أكثر من (1400) سنة... ونحن نقرأها اليوم وغداً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وكأنها نبأ عهد قريب: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ﴾... في جملة صغيرة طويت مئات القرون.

لذلك لا تصلح الدنيا لأن تكون غاية للمسلم... فبالله عليك لا تنخدع بها فتراها أكبر من حجمها، وعلى غير حقيقتها.

انظر نيمن هوذلك من الناس... هل كان واحد منهم على وجه الأرض منذ (١٠٠) عام وهل سيوجد واحد منهم بعد (١٠٠) عام فما أسرع ما يتبدل وجه الأرض... وما أقرب الدنيا كلها من منازل الآخرة. وصرفت الساعة:
مَا أَسْرَعَ الدَّيَّامُ فِي طَرِينَا تَمْضِي عَلَيْنَا ثُمَّ تَمْضِي بِنَا

القصة...

قبل استعراض القصة من آيات القرآن نوجزها في كلمات فنقول: كان يولد لآدم توأم، ذكر وأنثى، فولد له قابيل وأخت له، وبعده هابيل وأخت أخرى... وكانت شريعة آدم تقضي بأن الأخ لا يتزوج توأمته، بل توأمة أخيه الآخر، حتى يتم النسل ويبدأ نمو الجنس البشري.

فطمع قابيل في توأمة؛ لأنها أكثر جمالاً من أخت هابيل، فأمر آدم ابنه أن يقدم قرباناً لله، والذي يقبل الله منه قربانه بأن تأكله النار فليختر من يتزوجها.

وكان قابيل مزارعاً فقدم قربانه من زرع رديء. وكان هابيل راعي غنم فقدم قربانه من أفضل ماشيته... فنزلت النار فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل فغضب وعزم على قتل أخيه وظل مصراً على ذلك حتى قتله في النهاية.

إن الإصرار على رفض أوامر الله ويرد المصالح ولا يهني الإنسان منه غير الندم والخسران... فالحق نعيم تشعر به معهما. إن هذا المرفق الذي تم بين الأضربين ربما استغرق أياً قليلاً... بعدها نرح الصالح بقاء ربه، وأخذ المذنب بهيرته... فما نفعه؟ وبم خرج من الدنيا؟ وتطورت صفعة العمر... وتطورت الآيات طوك الزمان وعرضه لتعلم ولتأخذ العظة والعبرة فتقول: ﴿وَأَقُلِّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ آدَمَ﴾.

أوافق ولكن...!

ما الذي أدى إلى وقوع هذه الجريمة؟ هل الأمر أن قابيل قتل أخاه وينتهي؟ بالطبع لا، ولنبدأ في استخراج العبر والعظات... نسأل أولاً عن سبب هذا الجرم.

البعض يرى أن السبب هو المرأة... ولكن المرأة في شخصها ليست السبب، ولكن السبب هو الفتنة بها. فأخطر فتنة تواجه الرجال هي فتنة النساء، وأخطر فتنة تواجه النساء هي فتنة الرجال. يقول تبارك وتعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِصَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَكُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٤﴾﴾ ﴿قُلْ أُوْنِيَكُمْ بِخَيْرِ مِّنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾ [آل عمران: 14 - 15]. ويقول النبي ﷺ: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء»⁽¹⁾ رواه البخاري. فذكرت الآية أن أول الشهوات المحببة للناس هي النساء، وذكر الحديث أنها أعظم الفتن ضرراً. ويقول النبي ﷺ: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها لينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»⁽²⁾ رواه مسلم.

(1) أخرجه البخاري في (الحديث: 5096).

(2) أخرجه مسلم في (الحديث: 6883).

يا سباب... انها فتنة تستت على المرء شمله وتجهل فقره بين عينيه، وتتفرق به بين الهموم، وهتماً تؤدي الى ما لا يحمد عقباه «واتل عليهم نبا ابني آدم». فهل نعتبر...؟

نقطتان كان عليهما التركيز...

لقد ركز إبليس جهده على قضية العُزّي ليخرج سيدنا آدم وزوجته من الجنة. يقول تبارك وتعالى: ﴿فَوَسَّوْنَا لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءٍ إِلَهُمَا﴾ [الأعراف: 20]، ثم ركز على قضية أخرى وهي الفتنة بالنساء، يظل الشاب مشغولاً بالصور والشبهات والشهوات، ويتم له بذلك القضاء على الرجل والمرأة. يقول تبارك وتعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا﴾ [البقرة: 268].

أيهما تختار يا سباب؟! ضياع الدنيا بالفقر والآخرة بالفهماء في صرار إبليس أم تختار ربع الدنيا والآخرة بالفضل والمغفرة مع الله... مسكين من يترك ربه. ان نبا ابني آدم نذير يصرف بنا، أن أفقرنا قبل فوات الأوان. وكلمة خالدة تذكرنا بخطر الشبهات والمصير من السهرات.

اشكال فتنة النساء

اولاً: إياك من سهامه...!

يروى النبي ﷺ عن رب العزة أنه قال: «المنظرة سهم مسموم من سهام إبليس»⁽¹⁾. نعم إنه سهم يصيب القلب فيضعف الإيمان... هل تتخيل ما الذي يفعله السهم؟ إنه يجرح... وقد يصيب في مقتل... إنه مسموم.

يخرج الشاب من بيته عازماً على طاعة ربه وبعد ساعتين يتغير عليه قلبه... لماذا؟ لأنه أطلق النظر هنا وهناك، فتمكن منه الشهوة، وتعذبه لأنه لا يستطيع الوصول إليها، فيسخر منه الشيطان ويلعب به كالكرة في أقدام الصبيان.

ثانياً: وكلاهما شاشة...!

من أشكال الفتنة النظر إلى المواقع الإباحية على الإنترنت فتفعل به هذه الشاشة العارية

(1) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (الحديث: 314/4).

الأفاعيل؛ لأنها أسرع فتنة في الوصول إلى القلب كسرعة السهم إلى كبد الفريسة. وكذلك النظر إلى القنوات الفضائية التي تقدم مثل هذا العُري الشيطاني. من الناس مَنْ يفعل هذا كل يوم. وهذه الفتنة جعلت قابيل يخالف الشرع، وانتهت مخالفته إلى القتل.

هل جربنا مرة مقاومة هذه النظرة... تقول: لن أنظر إلى هذه الفتاة... لن أطلع الفضائيات العارية والإنترنت الإباحي ثم تجاهد نفسك في التنفيذ. هل جربت مثل هذا؟ هيا يا شباب نجربه، فهو معنى من معاني الرجولة.

ثالثاً: آه من الهاتف...!

ومنها الكلام الذي يدور بين الشباب والبنات في التليفونات... يتحدث الولد مع البنت حديثاً محرماً... ولو سمعها أبوها أو سمعه أبوه، لانهارت البنت خجلاً وخوفاً، ولتصاغر الولد دُلاً لا يدري ماذا يفعل أو يقول. وإذا كان الولد والبنت مطمئنين لعدم سماع ولي أمرهما بفعلهما، فما بالهما بنظر الله إليهما وبسمع الله لهما. يقول تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ [العلق: 14] ويقول: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: 46].

رابعاً: كاسيات عاريات...

قد تجد فتاة غير محجبة ولكنها محتشمة، وقد تتحجب بعد ذلك. ولكن أخطر الخطر في التي ترتدي ملابس ضيقة للغاية فتصف جسدها. فكأنها والعارية سواء، فهي كاسية عارية أو فتاة تغطي شيئاً وتترك أشياء. في شأن هؤلاء قال رسول الله ﷺ: «نساء من أمتي لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن رאתها لتشم من مسيرة خمسمائة عام» قالوا: من يا رسول الله؟ قال: «نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت»⁽¹⁾ رواه مسلم.

خامساً: أخطاء تقع فيها...

أنصح كل شاب وفتاة بينهما خطوبة أن يتقيا الله ﷻ حتى يبارك لهما في زواجهما. لأنه في فترة الخطوبة تحدث معاصٍ كثيرة... ونسمع عن خطوبات كثيرة فسخت بسبب ما وقع

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 5547).

بينه وبينها من أشياء محرمة... فمن أراد إتمام هذه النعمة، نعمة الزواج، فليتنق الله في بدايتها (فترة الخطوبة). فمن استعجل شيئاً قبل أوانه عوقب بحرمانه.

سادساً: من علامات الساعة...!

يقول النبي ﷺ: «رأيتني الليلة وقد أتاني آتيان، فقالا لي: انطلق معنا. فانطلقت معهما، فأتيا بي على تنور فيه أصوات (فرن بداخله صراخ) فطلعا عليه فإذا فيه رجال ونساء عراة يأتيهم اللهب من أسفل منهم. فقلت، من هؤلاء؟ فقالا: هؤلاء الزناة والزواني»⁽¹⁾.

فانتشار الزنى من أشكال الفتنة ومن علامات الساعة، والعقاب شديد، فاعزم على نفسك... لن أقع في مثل هذا... لن يغلبني إبليس بكيدة الضعيف... ومن أصاب شيئاً من هذا فليتب ويستبدل عمله بالخير.

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أخذت من امرأة قبله فأشاح عنه النبي ﷺ بوجهه... فنزل قول الله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ أَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيَّاتٍ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: 114].

سابعاً: وحدث في عهد النبي...!

ومن أشكال الفتنة المعاكسات والتعرض للنساء في الطرق... وحدث مثل هذا في عهد النبي ﷺ، فجاء وفد يبائع النبي على الإسلام ومعهم شاب، وبينما هم في الطريق إذا بالشاب يجذب جارية من ثيابها، فوصل الوفد إلى النبي ﷺ فبايعهم واحداً واحداً حتى وصل إلى هذا الشاب فقبض النبي عليه الصلاة والسلام يده وقال: «ألست صاحب الجبيضة؟» فسكت، فقال النبي ﷺ: «لا أبايك». فقال له الشاب: والله لا أفعلها بعد اليوم. فمد إليه النبي يده فبايعه⁽²⁾.

هذا الرجل يا شباب خشي من غضب النبي وإعراضه عنه فنوى التوبة وعزم عليها وصدق فيها. وأخشى أن يكون فينا من لا يهمه غضب النبي منه يوم القيامة وإعراضه عنه بقوله: سحقاً سحقاً، أي: بُعداً بُعداً.

(1) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 8/5) و(الحديث: 14/5).

(2) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (الحديث: 377/4).

ثامناً: كيف تقبلين...؟

من أشكال الفتن أن تقبل فتاة اقتراب رجل منها ويفعل معها من الحرام كذا وكذا أو فتاة يهون عليها لحمها فتعرضه لكل عين... أين الحياء؟ ذات يوم والإمام أحمد بن حنبل في طريقه فهبت ريح رفعت جلباب امرأة فظهر كعبها وبعض ساقها فرفع الإمام ثوبه على وجهه وقال: هذا زمان الفتن. فماذا لو بعث بيننا الآن...؟

تاسعاً: خيانات زوجية...

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أي الذنب أعظم عند الله؟ فقال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك». قال: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك». قال: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك»⁽¹⁾. فظهور الخيانات الزوجية من أشكال الفتن. وظهور ألوان الفتن يظهر مدى ما فعله بنا الشيطان منذ قابيل حتى اليوم.

وإليكم الحل

أولاً: غض البصر...

لا بد يا شباب من مقاومة فتنة النظر... إياكم أن يعتذر أحد بأنه غير متزوج... لا بد من المحاولة.

أعرف شاباً عزم قبل خروجه على مقاومة النظر المحرّم ومغالبة إبليس. وقال: أنظر كم مرة سأغلبه أو سيغلبني. وفي آخر اليوم وجد نتيجة الإحصاء (12) مرة غض بصره. و(10) مرات لم يغض بصره، فجلس يستغفر على المرات العشرة.

أذكركم يا شباب بحديث قدسي سابق وأتمه لكم: «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن تركها من مخافتي أبدلته بها إيماناً يجد حلاوته في قلبه»⁽²⁾.

جربوا يا شباب غض البصر أسبوعاً ستجدون حلاوته في قلوبكم لا محالة فقد وعدكم الله بذلك.

(1) أخرجه البخاري في (الحديث: 4761)، وأخرجه مسلم في (الحديث: 253)، وأخرجه أبو داود في (الحديث: 2310)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 3182)، وأخرجه النسائي في (الحديث: 4024)، وأخرجه الإمام أحمد في (مسنده) (الحديث: 380/1).

(2) تقدم تخريجه سابقاً.

ثانياً: أغلق الأبواب...!

القلب مثل البيت له أبواب... فإذا ترك صاحب البيت النوافذ والأبواب مفتوحة... سيأتيه منها اللصوص. فانظروا أبواب الفتن وأغلقوها تسلموا منها:

- إن كان صديقاً فاقطع علاقتك به.

- إن كانت صديقة فاقطعي علاقتك بها.

- من الإنترنت: اقطع صلتك بالمواقع الإباحية.

- من الهاتف: قم بتمزيق كل رقم يجلب عليك الفتنة.

هيا يا شباب نبأ ونهادك حتى تطمئن نفوسنا بالخير والخير، وصدت الله
تبارك وتعالى إذ بقرك: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ
الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 69].

ثالثاً: الصوم...

يقول النبي ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه
بالصوم فإنه له وجاء»⁽¹⁾ (أي حصن وحماية).

فإن خفتم المعاصي يا شباب فصوموا الاثنين والخميس وثلاثة أيام من كل شهر. وإن
أردتم مقاومة المعصية فأكثروا من الصوم. صوموا صيام داود، وهو أحب الصيام إلى الله.
كان يصوم يوماً ويفطر يوماً.

الصوم بضيق على الشيطان معاربه في دماء الإنسان فقال ﷺ: «إن
الشيطان يهرى من ابن آدم يهرى الدم» فهيا نضيق عليه بالعبر والعطش...
فالصوم درع حصين.

(1) أخرجه البخاري في (الحديث: 5065)، وأخرجه مسلم في (الحديث: 3384)، وأخرجه مسلم في (الحديث: 3384)، وأخرجه أبو داود في (الحديث: 2046)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 1081)، تعليقاً، وأخرجه النسائي في (الحديث: 2239)، وأخرجه ابن ماجه في (الحديث: 1845).

رابعاً: معرفة الثواب...

يقول النبي ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» ومنهم: «رجل دعت امرأته ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله»⁽¹⁾.

- فمن قطع علاقة محرمة فهو في ظل عرش الرحمن.
- ومن قطعت علاقة محرمة فهي في ظل عرش الرحمن.
- ومن عفا عن نظر محرم خوفاً من الله فهو في ظل عرش الرحمن.
- من يرغب عن هذا الثواب..؟ تفضل فرميتك ورب العزة ينادي في الجنة: أين من اطاعوني بالغيب؟ فترفع يدك وتقول: أنا يا رب.
- . من كنت نورية لغيرنا... أنا يا رب تركت من المعاصي كذا وكذا... تفكروا يا شباب في مهمهم الأهم وقدموا له الثمن.

خامساً: وسارعوا إلى مغفرة من ربكم...

من أساليب الوقاية من فتنة النساء سرعة التوبة. فمن ندم على الذنب وعزم على تركه كمن لا ذنب له...

المهم ألا نرهب التوبة. فنحن لا نملك أعمارنا. ورحمة الله واسعة... ما سمعها؟ يقول تبارك وتعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 156].

سادساً: هناك من سبقك...!!

كلما تعرضت لك فتنة تذكر شاباً عزيزاً جميلاً غريباً في بلد بعيدة... دعت سيده بعدما غلقت الأبواب وقالت له: إني لك. فقال: معاذ الله. إنه نبي الله يوسف.

- لا يخدعك الشيطان بأن أحد أصحابك يفعل كذا وكذا من المعاصي فكن مثله.
- لا يخدعك الشيطان بأن إحدى صديقاتك تعرفت على فلان وفلان عليك أن تكوني مثله.

(1) أخرجه البخاري في (الحديث: 660)، و(الحديث: 6479)، وأخرجه مسلم في (الحديث: 2377)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 2391).

اقتدروا يا شباب في وجه ابليس بتلات قذائف كلما زين لكم فتنة، تلات قذائف تمره وتقضي عليه، قذفه بها نبي الله يوسف: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رِجْ أَحْسَنَ مَثْوًى إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: 23]

هكذا يجب أن تكون...!

يروى أن رجلاً اسمه عبيد بن عبيد كان مشهوراً بالصلاح والتقوى... وكان في عهده امرأة شديدة الجمال، نظرت لنفسها في المرأة وقالت: من يقاوم هذا الجمال...؟ فقال لها زوجها: يقاوم هذا الجمال عبيد بن عبيد. فقالت له: أتأذن لي أن أفتنه؟ فقال: أذنت لك. فذهبت وقالت: أريد أن أسألك في مسألة، وظلت تعرض له وجهها وهو معرض عنها حتى طلبت منه صراحةً التعارف... وقال لها: أسألك أسئلة، إن أجبت عليها بصدق أعطيتك ما تريد. فقالت: سل ما شئت والله لأصدقنك. فقال لها:

- لو أتاك ملك الموت يأخذ روحك أيسرك أن يقبضك أثناء هذه المعصية؟ قالت: لا.

- قال: لو أن الناس يوم القيامة أخذوا كتابهم بأيمانهم. أيسرك أن تأخذي كتابك بشمالك بسبب معصيتي معك؟ قالت: لا.

- قال: لو مُدَّ الصراط يوم القيامة بين ظهراي جهنم والناس يعبرون. أيسرك أن تسقطي في جهنم بسبب معصيتي معك. قالت: لا.

- قال: لو وقفت بين يدي الله يسألك عن هذه المعصية. أيسرك أنك فعلتها؟ فقالت: لا. فقال لها: أما يكفيك هذا؟ فقالت: نعم، والله لأتوبن إلى الله، فعاتت عابدة خاشعة.

إن هذه الرحلة الشاقة في استعلاء الرجل على المعصية لم تعصمه فقط بل ردت من هاءت لغوايته، واستعلى صلاحه على نساها حتى اقتلعه من جذوره نصفت فطرته وعادت لربها... وصارت الساعرة:

وَتَسَبَّحُوا إِنَّ لَمْ تَكُونُوا مِثْلَهُمْ إِنَّ السَّابَّةَ بِالسَّجَالِ فَالْمُحِ

من المسؤول...؟

نعود إلى أصل الفتنة ونسأل: من المسؤول عن جريمة القتل؟ قابيل أم أخته؟ ونطرح هذا السؤال لأن القصص الإسرائيلية تُحمّل أخت قابيل وزر هذا القتل كما حملت حواء

سبب الهبوط والخروج من الجنة. وهذا خطأ لأن القرآن نسب القتل إلى قابيل وحده.

فمتى تكون المرأة مسؤولة عن فتنة الرجل؟ عندما تحرك فيه دوافع الفتنة بالعُري وترك الحجاب والتعطر والخضوع في القول والتمايل في الخطى... ويخدعها الشيطان ويزين لها هذا حتى يعجب بها الرجال... فعند ذلك تشارك المرأة الرجل في الإثم.

ان الله الذي بستره صاحبه بئمن مرتفع لا يهون عليه فيريه الا اذا تغيرت حالته فاصبح غير صالح للأكل، عندها يريه مضطرباً بئمنه، وعندها لا يقترب منه الناس فهو عندهم هين كما هان على صاحبه. ولكن يقترب منه ال...

. فهل ترضين لنفسك هذا؟ صانك الله.

. وهل ترضى لنفسك ذلك؟ عانك الله.

وما العلاقة...؟

يقول تبارك وتعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ﴾ [المائدة: 27] معنى الواو هنا أن الكلام بعدها مرتبط بما قبلها. والكلام قبلها حديث عن سيدنا موسى وهو يأمر قومه بدخول الأرض المقدسة فخافوا وجبنوا. فما العلاقة بين رفضهم وخوفهم وبين نبأ ابني آدم فجمع بين الخبرين بالواو؟ لأنهم خافوا وجبنوا عن القتل، وقابيل تهوّر فقتل. فبين الله أن الشيطان معصية: الجبن، والتهوّر. وكأن الله يأمرنا بالشجاعة من غير تهوّر.

معنى في غاية الأهمية...

ويقول تبارك وتعالى في نفس السورة على لسان سيدنا موسى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: 25] ترى فيها مدى حرص نبي الله موسى على أخيه، وقارن بين هذه الصورة والأخرى التي جاءت بعدها بآيات قليلة والتي قال فيها أخ لأخيه: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾.

يا شباب... الأخرة نعمة من الله. من كان له أخ أو أخت فليحافظ على هذه الأخرة من نزعات الشيطان... ومن كان له صالح تربطه به أخرة الإسلام فليتمسك به ويصون هذه الأخرة من نزعات الأهواء. يقول الشاعر:

يَمِينًا لَوْ يَمِينُكَ فِي يَمِينِي لَقَبَلْتُ الدُّنْيَا لَنَا يَمِينًا

يقسم على أن الاتحاد والتعاون نملك بهما أمر ديانا.

نتيجة الحسد...

يقول تبارك وتعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُنْقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ [المائدة: 25]. وهذه الكلمة: «لأقتلنك» تدل على تمكن الحسد والفتنة من قلب صاحبها (قابيل) فأدى به هذا إلى القتل. فكان الحسد أول معصية ارتكبت في الأرض.

تعالوا نعدد المعاصي التي وقعت قبله من بدايتها.

1 - الكبر.

2 - تحريض آدم وحواء على الأكل من الشجرة.

3 - الحلف كذباً.

4 - فتنة النساء.

5 - الحسد.

وسببها كلها أمراض قلبية يصاب بها من يفتن بنفسه أو بامرأة. ومعاصي القلوب أصعب وأشد من معاصي الجوارح.

إنه يأكل الحسنات...

الحسد والغل والحقد أمراض لها أعراض تظهر في أفعال الإنسان وتصرفاته.

- هذه تحسد أخرى بسبب زيجة طيبة مباركة.

- وهذا يحسد زميله بسبب ترقيته في العمل.

يقول النبي ﷺ: «إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»⁽¹⁾ رواه أبو داود. ويقول: «اثنان لا يجتمعان في قلب مسلم: إيمان، وحسد». إنه

(1) أخرجه أبو داود في (الحديث: 4903).

لا يأكل ثواب العمل الصالح فقط... إنه يطرد الإيمان من القلب فيصبح المرء دمية في يد إبليس.

علاج الحسد...

البعض منا يمر بأزمات اجتماعية فيظن أن سببها الحسد ويريد العلاج منه وسنذكر العلاج في نقاط:

- 1 - قراءة المعوذتين: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾.
- 2 - أذكار وأدعية الصباح والمساء.
- 3 - تقوى الله واجتناب المعاصي. يقول تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سِتْنَةٍ فَنِفْسِكَ﴾ فترك السيئات والمعاصي حماية من الحسد.
- 4 - حسن التوكل على الله. يقول تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنَّ يُرْذَكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس: 107].
- 5 - الصدقة، فما يحفظ النعمة مثل الصدقة.
- 6 - الإحسان إلى من أساء إليك. يقول تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: 34].

القبول مرتبط بها...

أخذت النار قربان هابيل وتركته قربان قابيل، فغضب وحقد على أخيه لشيء لا ذنب له فيه، وإنما الذنب كل الذنب عليه هو إذ لم يتق الله ويقبل شريعته، ولم يتق الله في حسن اختيار القربان، وذكر له أخوه ذلك: ﴿قَالَ لَا قُلُوبَ لَكَ قَالَ إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 27].

نريد يا شباب أن نكون من المتقين حتى يتقبل الله منا كما تقبل من هابيل، فما معنى التقوى لنكون من أهلها؟ معناها أن يجدرك الله حيث أمرك ولا يجدرك حيث نهاك.

- يجدرك بين صفوف المصلين بعد النداء، يجدرك قارئاً للقرآن، واصلاً للرحم.

- لا يجدركَ متعرضاً للفتن، رافعاً للصوت، عاقاً لأبويك، قاطعاً للرحم.

يستطيع أحدكم يا شباب أن يقول: غداً سأعرف مدى تقواي لله. سأذهب حيث أمرني ربي، ولن أذهب حيث نهاني. وفي الليل تجد النسبة 80٪ تقوى فتفرح؛ لأن الله يتقبل من المتقين، وماذا أيضاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: 4].

بكى أحد التابعين الصالحين عند موته. فقيل له: تبكي وقد فعلت من الطاعات كذا وكذا؟! قال: أبكي لأن الله قال: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

نعم، القبرُ مرتبط بالتقوى، والله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً.

«ما أنا بباسط يدي».

وقال هابيل لأخيه قابيل بعد ذلك: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ [المائدة: 28]. ويذكر ابن عباس أن هابيل كان أشد قوة من قابيل. ولكنه مع ذلك لم يشأ أن يقاوم أخاه أو أن يرد العدوان بمثله.

قال النبي ﷺ: «من مات دون ماله فهو شهيد ومن مات دون أهله فهو شهيد»⁽¹⁾. فهل يعد تصرف هابيل تصرفاً سليماً. بالطبع لا؛ لأن الوضع هنا مختلف، إن الذي يريد قتله هو أخوه وتربطه به صلة رحم قوية... وهو يفضل الموت عن قطع هذه الرحم، وكأن الآية تضرب لنا أروع وأصعب الأمثال من صلة الأرحام. كثير من الأرحام قطعت بسبب المال أو بغير سبب، والنبي ﷺ قال: «لا تنتزل الرحمة على قوم بينهم قاطع رحم». وقال: «ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل من إذا قطعت رحمه وصلها وهذا ما فعله هابيل مع أخيه»⁽²⁾ وقال ﷺ: «الرحم تتعلق بالصراف يوم القيامة وتقول: يا رب لا تجعله يمر حتى يؤدي إلي حقي». ولعل هذا المعنى هو الذي جعل سيدنا عثمان يرفض القتال بين المسلمين حتى لا يقطع المسلمون أرحامهم فضحى بنفسه حفاظاً على وحدتهم.

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 359)، وأخرجه أبو داود في (الحديث: 4772)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 1421)، وأخرجه النسائي في (الحديث: 4101)، وأخرجه ابن ماجه في (الحديث: 2580)، وأخرجه الإمام أحمد في (الحديث: 79/1)، و (الحديث: 187/1).

(2) أخرجه مسلم في (الحديث: 6486).

ترى... ما هذان الإثمَان...؟

استطرد هابيل يقول لأخيه: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبْوَأَ بِإِثْمِي وَإِنَّكَ فَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ
وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: 29].

- الأول: إثم قتلي .

- الثاني: إثم رفض شريعة الله ونقض أحكامها .

واحدروا يا شباب... الذي يقع في معصية كأنه فعل اثنتين، المعصية الأولى وهي المخالفة، والثانية عدم قبول شرع الله . فاحذروا فإن الثانية أشد من الأولى .

إنها الفطرة...!

يقول تبارك وتعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَمْ نَفْسُهُ قَتَلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: 30] هذه الكلمة ﴿فَطَوَّعَتْ﴾ تدل أن الخير أصيل في النفس، ولكي يقلبه الإنسان إلى شر يحتاج إلى معاودة وتطويع حتى يتم له ذلك .

فلا يولد أحد عاصياً، ولا يولد أحد مجرماً، ولا يولد أحد شارب خمر، وإنما كل مولود يولد على الفطرة... والشر يطرأ عليها بعد تطويع حتى تصبح المعصية سهلة عليها . فاستطاع قابيل أن يقتل وهو ابن نبي وتربى على يديه . والنفس قد تفعل معصية لا يتوقع صاحبها أن يفكر فيها منذ (20) سنة - مثلاً - ولكنها وقعت بعد تفكير ومعاودة وتطويع ﴿فَطَوَّعَتْ لَمْ نَفْسُهُ﴾ .

هوامرك هي منهرة الفطرة التي تهزم بها إبليس... وهي الأعوان التي تطوع النفس على الخير، والملائكة ترشدك إلى الصواب وتؤيدك بالصبر... ولا تشرك المجهال إبليس إلا إذا أطعته أنت فبهلك هوامرك منداً له هو... ليست نفسك غالبة عندك؟! فكيف تعين عليها الشيطان يسلمها إلى مهنم .

ابن القيم يعرفك البداية...!

وتطويع النفس على الخير ومقاومة نداء المعصية يحتاج إلى أمر أشار إليه ابن القيم في كلمة لطيفة . قال: اعلم أن المعصية تبدأ بخاطرة فدافع الخواطر (قل - مثلاً - أعوذ بالله من

الشیطان الرجیم) فإنك إن لم تفعل صارت سهلة، فحاربها فإنك إن لم تفعل صارت همة وعزيمة فحاربها، فإنك إن لم تفعل صارت فعلاً فحاربه، فإنك إن لم تفعل صار عادة يصعب عليك تركها، ومحاربتها في مبتدئها أسهل من محاربتها إذا استحکمت.

احذروا يا شباب خطوات الشیطان هذه حتى لا تنتهي بنا إلى فعل قابيل الذي ظل يستسلم لهذه الخطوات حتى قتل أخاه.

علاقة قوية...

فكيف قتل قابيل أخاه؟ قيل: أخذ حجراً وضربه، وقيل: خنقه وهو نائم. والقرآن لم يذكر إلا أنه قتله، ولم يشر إلى طريقة القتل.

إنك تجد في بعض الصحف تعليقاً عن جريمة وعن تفاصيل وقوعها وربما تستلفت هذه التفاصيل البعض فتغريه بالقيام بمثلها - وعدم ذكر القرآن لطريقة القتل لون من ألوان التربية حتى لا يُغرى أحد بمثلها، ولكن ركّز على أسباب الجريمة وعلى العقوبة وعلى نتائجها.

ولكن لماذا ربطت القصة فتنة النساء بالقتل؟ لأن بينهما علاقة قوية، ويتكرر ارتباط هذه الفتنة بالقتل يومياً. أحد تقارير منظمة الصحة العالمية يقول إن عدد حالات الإجهاض الجنائي في العالم سنة (76) كان (25) مليون جنين أجهضوا في سنة واحدة. وأعيد الإحصاء سنة (84) فوجده وصل إلى (50) مليون جنين. تُرى... كم عدد الحالات اليوم؟!... من هنا يظهر ارتباط فتنة النساء بالقتل. فهذا الحمل السّفاح بدايته فتنة انتهت بقتل ما نتج عنها بالإجهاض.

معنى في غاية الخطورة...!

يقول القرآن عن قابيل بعد جريمته ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ولتشعر بحجم الخسارة، يقول النبي ﷺ: «لا تقتل نفس إلى يوم القيامة إلا كان على ابن آدم الأول إثم منها»⁽¹⁾. رواه البخاري، فكل قاتل إلى يوم القيامة يحمل قابيل من سيئاته... فما حجم هذا العذاب؟

(1) أخرجه البخاري في (الحديث: 3335).

يعلمك النبي ﷺ أنه: «من سن سنة سيئة فعلية وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة»⁽¹⁾.

- أول فتاة ارتدت «مايوه» فقلدتها الأخريات.

- أول شاب شرب «البنجو» أمام أصدقائه فقلدوه.

والترية تمص الزنب... ولكن احذروا يا شباب أن تعلموا غيركم المعصية، فيزداد المعاصي اتقانا مع قلعه، وازداد مع زره... هل أدركت مدى الضسارة؟

تناسق القرآن...

يقول تبارك وتعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوَاءَ أَخِيهِ﴾ [المائدة: 31]. انتبه إلى أن الله بعث الغراب... فهو من جند الله وطائع لله، أمره ربه بالذهاب ليعلم قابيل فاستجاب الغراب لرب العزة.

ولكن لماذا الغراب؟ ليتم التناسق مع هذه الفعلة المنكرة، فالغراب أسود وهو أقرب الطيور شكلاً وصوتاً واسماً... وهنا يتنبه قابيل من غفلته ولكن بعد فوات الأوان.

نعم إنها سوءة...

فعندما رأى الغراب: ﴿قَالَ يَتُولِيَ آعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِيَ سَوَاءَ أَخِي﴾ [المائدة: 31]... لماذا السوءة ولم يقل الجثة؟ لتعرف أن السوءة هي أهم ما يجب ستره، فعدم ستر العورات يسبب كثيراً من الأمراض النفسية والفتن المهلكة.

إنه ندم عجز...

والنتيجة ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾... فلماذا لم تقبل توبته بعد الندم على فعلته؟ لأنه لم يندم من أجل الله... ولم يندم ندم توبة... إنه ندم بسبب عجزه. كالذي يذهب إلى حفلة دفع فيها (150) جنيهًا - مثلاً - فلم تعجبه فندم على المال ولم يندم من أجل الله... ولو كان لله لكانت توبة. ولكنه لم يفعل ذلك.

(1) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 361/4)، وأخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (الحديث: 176/4).

لقد قتل أخاه وحرار بجثمانه الذي بدأ يتعفن وبدأت الحيوانات تقترب منه فجاء الغراب... وأظهر له عجزه... فندم لضعفه وأحاطت به سيئته.

فاصبروا يا شباب الاستهانة بأمر الله... وخطرات الشيطان... واصبروا الفتن وأغلقوا عنكم أبوابها، وقد رأيتم أن العاصي أعجز من الغراب... وإذا أَلْقَتْ فتنة بأحدكم فلا نهة منها إلا بسرعة التوبة... وما دام في النفس عرق ينبض فالأمل واسع في رحمة الله.